جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

محاضرات التفسير عند الفرق

سنة أولى ماستر علوم القرآن / السداسي الأول

إعداد/ الدكتور عباس منصر

الموسم الدراسي/ 2021–2022

تقديـــــــــم:

أضع بين أيادي الطلبة الأعزاء (أولى ماستر علوم القرآن) ملخصا لدروس مقياس التفسير عند الفرق، هذه الدروس تكملة لما أخذ في السداسيات الماضية في مقياسي مناهج المفسرين، والتفسير التحليلي من جهة، ودمجا للمعارف المحصلة في أصول علمي التفسير والعقيدة من جهة ثانية، ويهدف هذا المقرر إلى إعطاء تصور عام حول مسالك أصحاب الفرق في التعامل مع الآيات القرآنية ومنهجهم العام في التفسير، والتعرف على موقفهم من مسائل أصول الاعتقاد الواردة في القرآن الكريم.

وقد حرصتُ كل الحرص على تقسيم كل فرقة من الفرق المقررة إلى شقين، شق نظري: فيه التعريف بالفرقة ونشأتها وأصولها وبعض أعلام التفسير فيها، وشق تطبيقي: فيه النماذج التطبيقية حول مسلك مفسري الفرقة في التعامل مع الآيات القرآنية، وهذا على خلفية معرفي بضعف المستوى العام للطلبة في الجانب التطبيقي، فلكي نسد هذه الثغرة جعلتُ الأمثلة التطبيقية في محاضرة مستقلة عن الجانب النظري، وقد حرصتُ على تحليل الأمثلة وتشريحها بما يوقف الطالب على المطلوب في المقرر، وبما يحقق الجودة العلمية المنشودة في المستوى، هذا والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

مفردات المقرر الدراسي في مقياس التفسير عند الفرق الإسلامية:

اقترحت اللجنة العلمية الوزارية المنعقدة بالندوة الجهوية للجامعات توحيد المقرر الدراسي لمقياس التفسير عند الفرق الإسلامية المبرمج تدريسه في السداسي الأول من مستوى ماستر شعبة علوم القرآن والتفسير، وجعله في خمسة محاور رئيسية وهي:

- المحور الأول: المعتزلة وموقفهم من تفسير القرآن
- المحور الثاني: الخوارج والإباضية وموقفهم من تفسير القرآن
- المحور الثالث: الشيعة الإمامية وموقفهم من تفسير القرآن
- المحور الرابع: التفسير عند الفلاسفة
- المحور الخامس: التفسير عند الصوفية

المحاضرة رقم 01.

مدخل لدراسة التفسير عند الفرق.

1/ مفهوم الفرق:

تطلق الفرق ويراد بها الطوائف الإسلامية الحادثة بعد زمن النبوة وشطرا من زمن الخلافة الراشدة مدة أبي بكر وعمر وست سنوات من خلافة عثمان رضي الله عنهم أجمعين[1]، وقال الشهرستاني: "...الفرق الإسلامية أربع: القدرية – الصفاتية – الخوارج – الشيعة، ثم يتركب بعضها مع بعض ويتشعب عن كل فرقة أصناف فتصل إلى ثلاث وسبعين فرقة "[2].

والمراد بالفرق الإسلامية: الطوائف التي خاضت في أصول الإسلام، وأحدثت خلافا في مبانيه العظام، مثل باب الصفات والقدر والنبوة والعدل... الخ، ولا يدخل في مسمى الفرق الخلاف الحاصل في الفروع بين أصحاب المذاهب الفقهية والمدارس الأصولية.

2/ أهمية دراسة التفسير عند الفرق:

- الوقوف على مناهج أصحاب الفرق في التعامل مع الآيات القرآنية.
- معرفة محاسن هذه التفاسير، والوقوف على المآخذ المسجلة حولها.
- معرفة كيفية توظيف المعتقد والمذهب لتحريف معاني القرآن.
- إنصاف أهل الحق منهم، ومؤاخذة أصحاب الباطل بباطلهم.
- التعرف على موقف أهل السنة والجماعة من هؤلاء المفسرين.

3/ أسباب وقوع الخطأ في كتب التفسير:

---

[1] ينظر: الفرق بين الفرق: عبد القاهر الأسفراييني، ط:2، دار الآفاق، بيروت، 1977م، ص12-15.

[2] ينظر: الملل والنحل: محمد عبد الكريم الشهرستاني، دط، مؤسسة الحلبي، دت، ج1/ ص13.

يرجع وقوع المفسرين في الخطأ والزلل في فهم نصوص الوحي إلى جملة من الأسباب أهمها[1]:

- دخول عالم القرآن بمقررات فكرية سابقة، وهذا هو أساس الانحراف الذي وقع فيه مفسرو رجال الفرق الإسلامية، حيث دخلوا جميعا عالم القرآن بمقرر فكري مسبق، وتعاملوا مع القرآن بالهوى والمزاج وأرادوا من القرآن أن يشهد لما عندهم من باطل وضلال !.
- التكلف في ليّ أعناق الآيات لتشهد للمذهب أو المعتقد.
- عدم اتباع أحسن طرق التفسير.
- عدم اعتماد الأحاديث الصحيحة في التفسير، وقبول الأحاديث الموضوعة والضعيفة.
- التساهل في رواية الإسرائيليات والحكايات التي لم تصح ولم تثبت.
- عدم تحري الصحيح في النقل عن السلف من الصحابة والتابعين.
- الخروج من التفسير إلى مباحث لا داعي لها والاستطراد في مسائل لا علاقة لها بهدايات الوحي.
- حمل معاني القرآن على شواهد لغوية شاذة أو تقديرات إعرابية بعيدة.

4/ مظاهر وقوع الخطأ في التفسير[2].

أولا: الخطأ في الاستدلال مع صحة المدلول وعدم سلب النص القرآني معناه الحقيقي.

وصورته أن يكون المعنى الذي يريد المفسر نفيه أو إثباته صوابا في نفسه وليس خطأً، لكنّ اللفظ القرآني لا يدل عليه، وحتى يجعل المفسر معناه قرآنيا يحمل عليه ذلك اللفظ

---

[1] ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص496.

[2] ينظر: مقدمة في أصول التفسير: أحمد بن عبد الحليم شيخ الإسلام ابن تيمية، ط:1، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1980م، ص39.

القرآني، ومع ذلك لا ينفي المعنى المتبادر من ظاهر النظم القرآني. ومثاله تفسير أبي عبد الرحمن السلمي الصوفي قوله تعالى [ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ((النساء:66))] حيث قال: " اقتلوا أنفسكم: وذلك بمخالفة هواها، اخرجوا من دياركم: أخرجوا حب الدنيا من قلوبكم ".

فالمعنى الذي ذكره السلمي صواب، وهو وجوب مخالفة الهوى ووجوب إخراج حبّ الدنيا من القلب، وهو لم يسلب الأمرين معناهما الظاهري المراد، وهو قتل النفس حقيقة بإزهاق الروح، والخروج من الديار بمغادرتها، ولكنه أضاف إلى هذا المعنى الظاهري المراد معنى آخر/ وهو قتل الهوى وإخراج حب الدنيا من القلب، وهذا خطأ في الاستدلال؛ لأن اللفظين القرآنيين القتل والخروج لا يدلان عليه.

ثانيا: الخطأ في الاستدلال مع صحة المدلول وسلب النص القرآني معناه الحقيقي.

وهذا المظهر من الخطأ شبيه بالأول ويفرقه في سلب المفسر النص القرآني المدلول عليه بالظاهر، ومثاله تفسير سهل بن عبد الله التستري الصوفي قوله تعالى [ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ((البقرة:35))] حيث قال: " لم يرد الله معنى الأكل في الحقيقة، وإنما أراد معنى مساكنة الهمة لشيء هو لغيره ".

فالتستري نفى الأكل من النهي مع أن النهي يدلّ عليه، وهذا سلب له عن معناه المراد، ثم حمله على أن المراد به الاهتمام بغير الله والإقبال على غيره، وهو غير مراد من النهي، مع أن هذا المعنى صوابا في نفسه.

ثالثا: الخطأ في الاستدلال والمدلول معا مع عدم سلب النص القرآني معناه الحقيقي.

وهو أن يكون المعنى الذي يريد المفسر نفيه أو إثباته خطأ في نفسه، واللفظ القرآني لا يدل عليه، فيحمل المفسر اللفظ القرآني عليه، ومع ذلك لا ينفي المعنى القرآني الحقيقي الذي دلّ عليه ظاهر النظم القرآني، ومثاله ابن عربي الصوفي لقوله تعالى [واذكر اسم ربك وتبتّل إليه تبتيلا ((المزمل:8))] حيث قال: " اذكر اسم ربك الذي هو أنت: أي اعرف نفسك، ولا تنْسها فينساك الله ".

فالمعنى الذي أراد ابن عربي إثباته خطأ في ذاته، وهو القول بوحدة الوجود، فالربّ عنده يتجلى في مخلوقاته، وهذا ضلال وباطل، وحتى يجعل هذا المعنى الباطل صوابا حمل عليه الآية، وجعل معنى ذكر اسم الربّ فيها ذكر النفس وعدم نسيانها، وهذا المعنى مردود وباطل أيضا، ومع هذا التحريف من ابن عربي لمعنى الآية فإنه لم ينف ظاهر اللفظ المراد من الآية.

رابعا: الخطأ في الاستدلال والمدلول معا وسلب النص القرآني معناه الحقيقي

وهذا أشنع وأكبر أنواع الخطأ والتحريف للنصوص الآيات القرآنية، ومثاله تفسير بعض المعتزلة لقوله تعالى [وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ((القيامة:22-23))] حيث فسروا (إلى) في الآية بالنعمة، فقالوا: (إلى) مفردة آلاء وفي الآية تقديم وتأخير، والتقدير: وجوه ناضرة ناظرة إلى ربها. أي: تنظر نعمة ربها !!.

وهذا تحريف لمعنى الآية بتكلف مردود؛ لأن الآية صريحة في رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة، والمعتزلة لا يؤمنون بالرؤية، ولذلك تكلفوا في صرفها[1].

[1] ينظر لمزيد من الأمثلة عن مظاهر وأشكال الخطأ في كتب التفسير، تعريف الدارسين: ص497-498.

المحور الأول

المعتزلة وموقفهم من تفسير القرآن الكريم

المحاضرة رقم 02.

التعريف بفرقة المعتزلة وبيان عنايتها بالتفسير

1/ نشأة المعتزلة.

كانت نشأة هذه الفرقة في بداية القرن الثاني الهجري، ومؤسسها واصل بن عطاء وكان تلميذ الحسن البصري الملازم له في جامع البصرة، فتكلم واصلٌ يوما بكلام يؤسس لمسألة المنزلة بين المنزلتين، فقال له الحسن: اعتزل عنا يا واصل! فقام من مجلس الحسن مع أصحابه وجلس في مكان آخر من المسجد، فسُموا المعتزلة من ذلك اليوم.

وانتشر مذهب المعتزلة في العصر العباسي الأول، حتى اعتنقه بعض الخلفاء العباسيين كالمأمون والمعتصم والواثق، ويلقبون بالقدرية؛ لأنهم يسندون أفعال العباد إلى قدرتهم، كما يلقبون بالمعطلة أيضا؛ لأنهم يعطلون وينفون صفات الباري سبحانه وتعالى[1].

والمعتزلة طوائف عديدة كل طائفة منها تنسب إلى إمام منها الواصلية – الجاحظية – الهذلية – الجبائية، وهم يشتركون في اعتقاد الأصول الخمسة للمعتزلة، وهو ما سنبينه في ما يلي.

2/ التعريف بالأصول الخمسة عند المعتزلة[2].

والأصول العقائدية عند المعتزلة خمسة: التوحيد – العدل – الوعد والوعيد – المنزلة بين المنزلتين – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي التي كان لها تأثير في تعاملهم مع القرآن.

– التوحيد:

ويريدون بالتوحيد نفي الصفات؛ لأن إثبات الصفات يقتضي تعدد الآلهة، وهم يثبتون الأسماء وينفون الصفات؛ هروبا من التشبيه.

– العدل:

---

[1] تعريف الدارسين: 503-504.

[2] ينظر: مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير، ص34-35. وينظر: ص52.

ويريدون به نفي القضاء والقدر؛ لأنهم يقولون: أن إثبات القضاء والقدر يستلزم الجور والظلم في حق الله سبحانه وتعالى؛ إذ يعذب عباده على شيء قدّره عليهم، وهو سبحانه متصف بالعدل المطلق، فقالوا بخلق العباد أفعالهم هروبا مما علق بهم من اعتقاد فاسد.

- **الوعد والوعيد:**

حيث أوجبوا في حق الله سبحانه إنفاذ الوعيد كما أنه لا يخلف الوعد والميعاد، فأنكروا الشفاعة لأهل المعاصي وقالوا بخلود صاحب الكبيرة في النار.

- **المنزلة بين المنزلتين:**

وهذه التي خالفوا واعتزلوا من أجلها مجلس الحسن البصري، وقد سئل الحسن البصري عن حكم مرتكب الكبيرة فأجاب: هو مؤمن مؤاخذ بذنبه، فاعترض واصل بن عطاء وقال ببدعة المنزلة بين المنزلتين.

- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**

يريدون به الخروج عن ولاة الأمور، وهذا معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندهم ويتفقون في هذا مع الخوارج.

3/ بعض مفسري فرقة المعتزلة.

ومن علماء المعتزلة الذين كتبوا تفاسير كاملة للقرآن: أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم (240هـ) وأبو علي محمد بن عبد الوهاب الجُبائي (303هـ) وأبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني (322هـ) وتفسيره (جامع التأويل لمحكم التنزيل) من أشهر تفاسير المعتزلة، وأبو الحسن علي بن عيسى الرماني (384هـ) وتفسيره (الجامع لعلم القرآن) والقاضي عبد الجبار الهمداني (415هـ) وتفسيره (التفسير الكبير) معتمد عند المعتزلة، وله أيضا (متشابه القرآن) الذي ضمّنه الكثير من الإعتزاليات، وأبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (538هـ)[1].

[1] ينظر:: تعريف الدارسين، ص506.

ولم يصلنا من تفاسير هؤلاء الأعلام سوى تفسير الزمخشري (الكشاف) وكتاب القاضي عبد الجبار (متشابه القرآن) واللذان سيكونان محل الدراسة التطبيقية إن شاء الله.

4/ منهجهم في التعامل مع الآيات القرآنية.

أقام المعتزلة تفاسيرهم على أصولهم الخمسة، وتعاملوا مع القرآن بالمقرر الفكري المسبق، وهذا هو أساس انحرافهم في تفسير القرآن، وهم لا يحسنون الظن بالأحاديث النبوية ولا أقوال الصحابة والتابعين، ويلوون الآيات لتشهد لآرائهم وأقوالهم الباطلة ويتحايلون في صرفها عن معناها الصحيح بتكلف مرذول، ويقولون بالمجاز ليتأوّلوا القرآن ويصرفوه عن ظاهره إذا لم يشهد لهم. كما أقاموا منهجهم في التفسير على الإغراق في تحكيم العقل وجعله مقياسا في قبول حقائق القرآن وفهم آياته، فالعقل عندهم فوق النص، والنص تابع له، وإذا تعارض النص القرآني والعقل البشري فيجب تأويل النص ليتوافق مع العقل[1].

5/ منهج الزمخشري العام في تفسيره الكشاف:

قال شيخ الإسلام: " ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة فصيحا، ويدس البدع في كلامه، وأكثر الناس لا يعلمون كصاحب الكشاف,,, حتى إنه يروج على خلق كثير ممن لا يعتقد الباطل من تفاسيرهم الباطلة ما شاء الله. وقد رأيت من العلماء المفسرين وغيرهم من يذكر في كتابه وكلامه من تفسيرهم ما يوافق أصولهم التي يعلم أو يعتقد فسادها ولا يهتدي لذلك". وقال في موضع آخر من مقدمته المشهورة حين سئل عن تفسير الزمخشري فأجاب فائلا: " وأما (الزمخشري) فتفسيره محشو بالبدعة، وعلى طريقة المعتزلة من إنكار الصفات، والرؤية، والقول بخلق القرآن، وأنكر أن الله مريد للكائنات، وخالق لأفعال العباد، وغير ذلك من أصول المعتزلة... وهذه الأصول حشى [بها الزمخشري] كتابه بعبارة لا يهتدي أكثر

[1] ينظر: مقدمة أصول التفسير: لابن تيمية، ص37.

الناس إليها، ولا لمقاصده فيها، مع ما فيه من الأحاديث الموضوعة، ومن قلة النقل عن الصحابة والتابعين "[1].

وقال الشيخ عبد العظيم الزرقاني: " ويمتاز الكشاف بأمور منها خلوه من الحشو والتطويل ومنها سلامته من القصص والإسرائيليات ومنها اعتماده في بيان المعاني على لغة العرب وأساليبهم ومنها عنايته بعلمي المعاني والبيان والنكات البلاغية تحقيقا لوجوه الإعجاز ومنها سلوكه فيما يقصد إيضاحه طريق السؤال والجواب كثيرا ويعنون السؤال بكلمة إن قلتَ بفتح التاء ويعنون الجواب بكلمة قلتُ بضم التاء"[2].

وسنذكر في المحاضرة التطبيقية نماذج من صنيع الزمخشري في التعامل مع الآيات القرآنية.

[1] مقدمة في أصول التفسير: ص51-52.

[2] مناهل العرفان: ج2/ص70.

المحاضرة رقم 03

أمثلة تطبيقية من تفسيرات المعتزلة

بما أن تفسير الزمخشري هو الوحيد الذي وصل إلينا من نتاج المعتزلة في التفسير، فإننا سنمثل بأمثلة تطبيقية من الكشاف تبيّن مسلك الزمخشري في التفسير، وقبل ذلك يحسن بنا أن نعرّج إلى ذكر آراء القاضي عبد الجبار في التفسير من خلال كتابيه ((متشابه القرآن)) ((تنزيه القرآن عن المطاعن)) على اعتبار أن تفسيره الكبير مفقود وهو من مصادر الزمخشري في كشافه.

1/ آراء القاضي عبد الجبار في التفسير.

القاضي عبد الجبار الهمذاني لم يخرج عن المنظومة الاعتزالية في تفسير القرآن على أصول المعتزلة، وفي المثالين الآتيين شاهد على هذا المنحى.

- **مثال من كتابه متشابه القرآن:**

قال القاضي عبد الجبار الهمذاني في كتابه "متشابه القرآن " عند قوله تعالى [فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء] ((سورة إبراهيم: 4)): " ينسبهم إلى الضلالة والهداية، أو يقال: يضل من يشاء بأن يعاقبه ويهلكه جزاء له على كفره، ويهدي من يشاء إلى الثواب وطريق الجنة جزاء له على إيمانه "[1].

قال ابن قتيبة الدينوري مبطلا هذا التفسير: " لو أراد النسبة لقال: يضللُهم كما يقال: يخوّفهم ويفسّقهم، أي ينسبهم إلى هذا "[2].

---

[1] متشابه القرآن: عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، دط، دت، من موقع الشاملة، ص482.

[2] الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية: ابن قتيبة الدينوري، تح: عمر بن محمود، ط:1، دار الراية، الرياض، 1412هـ – 1991م، ص24-25.

والقاضي عبد الجبار ذهب هذا المذهب في هذا الموضع وفي كل كتابه متشابه القرآن؛ لأنه يرى أن أغلب القرآن متشابه ويُعرف الفرق بين المحكم والمتشابه بردّ المتشابه إلى العقل إذ يقول في خطبة كتابه: " أقوى ما يعرف به الفرق بين المحكم والمتشابه أدلة العقول "[1].

وهذا التأويل الاعتزالي من القاضي جرّه إليه معتقده في باب العدل، فنسب الهداية لله والكفر للعبد؛ إذ هو من يخلق أفعاله بنفسه.

– مثال من كتابه تنزيه القرآن عن المطاعن:

قال الشيخ الزرقاني مبينا منهج القاضي في كتابه (تنزيه القرآن): " كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن: مرتب على مسائل تتضمن سؤالا وجوابه ولم تكن همته تفسير القرآن بل كان كل همه موجها نحو تأييد مذهبه لذلك تراه لم يفسر جميع القرآن بل يذكر من السورة الآية التي يستطيع أن يؤولها على مقتضى عقيدته ويؤيد بها مذهب المعتزلة على نمط ما فعل الزمخشري "[2].

والقاضي عبد الجبار إنما يقصد بكتابه (تنزيه القرآن عن المطاعن) الردّ عن أهل السنه، وفيما يلي مثالا نستبين به صنيع القاضي من خلال كتابه المذكور، حيث قال رادا عن أهل السنة اعتقادهم في أن الله خالق أفعال العباد خيرها وشرها، وذلك في معرض كلامه عن معنى قوله تعالى من سورة الفلق ((من شر ما خلق)) قال ما نصه: " ربما قيل في قوله تعالى (مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ) إن ذلك يدل على أن الشر من قبله كما أن الخير من قبله؟ وجوابنا أنه لو كان كما قالوا لوجب أن يكون شرّيرا لكثرة الشر الذي يقع منه وأن يوصف بأنه من الأشرار فالمراد من شر خلقه، فالشر يضاف إلى خلقه لا إليه. تعالى الله عن ذلك. وفي جملة ما خلق ما يكون الشر منه كالحيّات والعقارب وغيرهما، وعلى هذا الوجه أمر الله تعالى بأن

---

[1] ينظر: متشابه القرآن، ص85.

[2] مناهل العرفان: ج2/ص74.

يتعوذ من شرّ حاسد إذا حسد، ومعلوم أنه ليس يقع منه عند الحسد إلا ما يجري مجرى الحيل ونبه تعالى بذلك على أن الواجب التحذّر مما يضر في الدنيا بالقول كما ينبغي أن يتحرز بالفعل، وجعل ذلك كالسبب في التحرز من المعاصي؛ لأنه إذا شدّد في التحرز من هذه الأمور التي تقل مضارها كان التحرز من عقاب الآخرة أقرب "[1].

2/ أمثلة من تفسير الكشاف للزمخشري.

المثال الأول:

تفسير الزمخشري لقوله تعالى في سورة هود [خالدين فيها **إلا** ما شاء ربك] الموضعان حيث قال: " وَلَا يَخْدَعَنَّكَ قَوْلُ الْمُجَبِّرَةِ إِنَّ الْمُرَادَ بِالِاسْتِثْنَاءِ خُرُوجُ أَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنَ النَّارِ، فَإِنَّ الِاسْتِثْنَاءَ الثَّانِيَ يُنَادِي عَلَى تَكْذِيبِهِمْ وَيُسَجِّلُ بِافْتِرَائِهِمْ، وَمَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ نَبَذُوا كِتَابَ اللَّهِ لَمَّا رُوِيَ لَهُمْ بَعْضُ الثَّوَابِتِ عَنِ ابْنِ عَمْرٍو: لِيَأْتِيَنَّ عَلَى جَهَنَّمَ يَوْمٌ تُصَفَّقُ فِيهِ أَبْوَابُهَا لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ[2]، وَأَقُولُ: مَا كَانَ لِابْنِ عَمْرٍو فِي سَيْفَيْهِ وَمُقَاتَلَتِهِ بِهِمَا عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا يَشْغَلُهُ عَنْ تَسْيِيرِ هَذَا الْحَدِيثِ "[3] اهـ

وقد تكفل الإمام الشوكاني بالردّ على صاحب الكشاف فقال: " وَلَقَدْ تَكَلَّمَ صَاحِبُ الْكَشَّافِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَا كَانَ لَهُ فِي تَرْكِهِ سِعَةٌ، وَفِي السُّكُوتِ عَنْهُ غِنًى... وَأَقُولُ: أَمَّا الطَّعْنُ عَلَى مَنْ قَالَ بِخُرُوجِ أَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنَ النَّارِ، فَالْقَائِلُ بِذَلِكَ- يَا مسكين- رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا صَحَّ عَنْهُ فِي دَوَاوِينِ الْإِسْلَامِ الَّتِي هِيَ دَفَاتِرُ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ، وَكَمَا

---

[1] تنزيه القرآن عن المطاعن: عبد الجبار الهمذاني، ط:1، دار النهضة الحديثية، بيروت، 1426هـ – 2005م، ص489.

[2] هذا الأثر رواه البزار في مسنده وفي إسناده متروك فهو ضعيف، وعلى فرض حسنه يحمل على الموحدين أو العصاة من أمة محمد ﷺ. انظر: رسالة تنبيه المحتار على عدم صحة القول بفناء النار عن الصحابة الأخيار: سليمان بن ناصر العلوان، دط، دن، دت، ص6. وانظر: كلام الإمام الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف مذيلا بطبعة الكشاف المعتمدة في المطبوعة، ج2/ص431.

[3] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: محمود بن عمرو الزمخشري، ط:3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ، ج2/ص431.

صَحَّ عَنْهُ فِي غَيْرِهَا مِنْ طَرِيقِ جَمَاعَةٍ مِنَ الصحابة يبلغون عدد التواتر فمالك وَالطَّعْنَ عَلَى قَوْمٍ عَرَفُوا مَا جَهِلْتَهُ وَعَمِلُوا بِمَا أَنْتَ عَنْهُ فِي مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ وَأَيُّ مَانِعٍ مِنْ حَمْلِ الِاسْتِثْنَاءِ عَلَى هَذَا الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الْأَدِلَّةُ الصَّحِيحَةُ الْكَثِيرَةُ كَمَا ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ وَقَالَ بِهِ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ وَأَمَّا مَا ظَنَنْتَهُ مِنْ أَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ الثَّانِيَ يُنَادِي عَلَى تَكْذِيبِهِمْ وَيُسَجِّلُ بِافْتِرَائِهِمْ فَلَا مُنَادَاةَ وَلَا مُخَالَفَةَ، وَأَيُّ مَانِعٍ مِنْ حَمْلِ الِاسْتِثْنَاءِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ عَلَى الْعُصَاةِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ. فَالِاسْتِثْنَاءُ الْأَوَّلُ يُحْمَلُ عَلَى مَعْنَى إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ مِنْ خُرُوجِ الْعُصَاةِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ النَّارِ، وَالِاسْتِثْنَاءُ الثَّانِي يُحْمَلُ عَلَى مَعْنَى: إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ مِنْ عَدَمِ خُلُودِهِمْ فِي الْجَنَّةِ كَمَا يَخْلُدُ غَيْرُهُمْ، وَذَلِكَ لِتَأَخُّرِ خُلُودِهِمْ إِلَيْهَا مِقْدَارَ الْمُدَّةِ الَّتِي لَبِثُوا فِيهَا فِي النَّارِ وَقَدْ قَالَ بِهَذَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ. وَبِهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ حَبْرُ الْأُمَّةِ. وَأَمَّا الطَّعْنُ عَلَى صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ وَحَافِظِ سُنَّتِهِ وَعَابِدِ الصَّحَابَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِلَى أَيْنَ يَا مَحْمُودُ، أَتَدْرِي مَا صَنَعْتَ، وَفِي أَيِّ وَادٍ وَقَعْتَ، وَعَلَى أَيِّ جَنْبٍ سَقَطْتَ؟ وَمَنْ أَنْتَ حَتَّى تَصْعَدَ إلى هذا المكان وتتناول نجوم السماء بيدك الْقَصِيرَةِ وَرِجْلِكَ الْعَرْجَاءِ، أَمَا كَانَ لَكَ فِي مُكَسَّرِي طَلَبَتِكَ مِنْ أَهْلِ النَّحْوِ وَاللُّغَةِ مَا يَرُدُّكَ عَنِ الدُّخُولِ فِيمَا لَا تَعْرِفُ وَالتَّكَلُّمِ بِمَا لَا تَدْرِي، فَيَا لِلَّهِ الْعَجَبَ مَا يَفْعَلُ الْقُصُورُ فِي عِلْمِ الرِّوَايَةِ وَالْبُعْدُ عَنْ مَعْرِفَتِهَا إِلَى أَبْعَدِ مَكَانٍ مِنَ الْفَضِيحَةِ لِمَنْ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَ نَفْسِهِ وَلَا أَوْقَفَهَا حَيْثُ أوقفها الله سبحانه "[1].

المثال الثاني:

تفسير الزمخشري لقوله تعالى [وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ((البقرة:88))] حيث قال: " غلف: جمع أغلف، أي هي خلقة وجبلة مغشاة بأغطية لا يتوصل إليها الحق. ثم ردّ الله أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك؛ – لأنها خلقت على الفطرة

[1] فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، 1426هـ-2005م، ج2/ص732-733.

والتمكن من قبول الحق – بأن الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم... فهم الذين غلفوا قلوبهم بما أحدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك، لمنع الألطاف التي تكون للمتوقع إيمانهم "[1].

وهذا التفسير من صاحب الكشاف على منوال المعتزلة في باب العدل؛ حيث قرر أصلهم المنبني على أن العبد يخلق أفعاله بنفسه حتى لا يقولوا بالظلم في حق الله سبحانه[2].

المثال الثالث:

قال الزمخشري عند تفسير قوله تعالى: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} [البقرة:3] ما نصه:" فإن قلت ما الإيمان الصحيح. قلت: أن يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن أخل بالاعتقاد وإن شهد وعمل فهو منافق ومن أخل بالشهادة فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق "[3]، قال الشيخ الزرقاني معلقا على التأويل الاعتزالي:" فسر الإيمان بما يثبت به المنزلة بين المنزلتين، وهي منزلة الفاسق بين منزلة المؤمن ومنزلة الكافر فينفي الإيمان عن سليم العقيدة ما دام أنه قد أخل بواجب العمل، وهو محجوج من أهل السنة بأن هذا التفسير لا يوافق اللغة ولا الشرع، أما اللغة فلأنّ معنى الإيمان التصديق لا غير وكذا الشرع بدليل عطف العمل عليه والعطف يقتضي المغايرة بين المتعاطفين "[4].

المثال الرابع:

وقال في تفسير قوله سبحانه: {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [البقرة:3] ما نصه:" وإسناد الرزق إلى نفسه للإعلام بأنهم ينفقون الحلال المطلق الذي يستأهل أن يضاف إلى الله وأدخل من

---

[1] الكشاف: ج1/ص164.

[2] ينظر: تعريف الدارسين، ص530.

[3] الكشاف: ج1/ص39.

[4] مناهل العرفان: ج2/ص71.

التبعيضية صيانة لهم وكفّا عن الإسراف والتبذير المنهي عنه. "[1]، وعلق الشيخ الزرقاني عليه قائلا:" وهذا منه إيماء ورمز إلى أن الرزق الحلال من الله وأن الرزق الحرام من العبد. ويرد عليه أهل السنة بقوله سبحانه: {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} فالله هو الخالق الرازق لا غيره سواء أكان الرزق حلالا أم حراما "[2].

3/ القيمة العلمية لتفسير الكشاف:

قال الأستاذ عبد الفتاح الخالدي في كتابه (تعريف الدارسين): " تبقى لتفسير الكشاف منزلة عالية بين كتب التفسير البياني، مع رفضنا لما فيه من تفسيرات اعتزالية تقوم على تحريف معاني الآيات، لكن اعتزالياته قليلة بالنسبة إلى فضائل وحسنات تفسيره "[3].

وينبغي مطالعة الكشاف مع الحواشي المنجزة حوله، وهذا للاستفادة من جهود أهل العلم في تنقية الكشاف من التفسيرات الباطلة للمعتزلة، لا سيما جهود ابن المنيّر المالكي والطيبي وأبي حيان والبيضاوي وغيرهم رحمهم الله تعالى ممن تعقبوا صاحب الكشاف.

أما طلاب العلم المبتدئون فلا ينبغي لهم مطالعته خشية أن يتأثروا بمذهبه الاعتزالي، أو أن تعلق بهم شائبة اعتزالية فيصعب اجتثاثها، في حين يمكّن من قراءته الطلاب المتسلحون بأصول العقيدة الصحيحة المدركون لأصول المعتزلة الكلامية ومسالكهم العقلية، فهؤلاء أقدر على تمييز خطأ المصنف من صوابه، فلا بأس بمطالعتهم للكشاف واستفادتهم من تحليلاته البيانية وجمالياته البلاغية في حقل التفسير.

---

[1] الكشاف: ج1/ص40.

[2] مناهل العرفان: ج2/ص71.

[3] تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص557.

المحور الثاني

فرقة الخوارج وموقفهم من تفسير القرآن الكريم

المحاضرة رقم04.

التعريف بفرقة الخوارج وبيان عنايتهم بالتفسير.

1/ نشأة فرقة الخوارج:

الخوارج هي الفرقة المغالية المقابلة للشيعة، فإذا كان الشيعة قد غالوا في حب وولاية علي رضي الله عنه وذريته، فإن الخوارج على العكس قد غالوا في كره علي وذريته وتكفيرهم.

وكانت نواة الخروج حين أنكروا عن علي جلوسه للتحكيم مع معاوية رضي الله عنه في موقعة صفين عام 36 هـ وبعدها كفروه، وأدى بهم الأمر إلى قتله؛ إذ قتله الخارجي عبد الرحمن بن ملجم قاتله الله.

وبعد موقعة صفين تمايز الخوارج بمعاداة علي فلاحقهم الإمام علي ﷺ وحاورهم وناظرهم وقارعهم بالحجج وقال لابن عباس ((حاججهم بالسنة ولا تحاججهم بالقرآن فإن القرآن حمّال ذو وجوه)) فرجع منهم خلق كثير، والذين كابروا قاتلهم شرّ قتلة في موقعة النهروان سنة 37 هـ, ولم يبق منهم سوى تسعة رجال هم نواة الفكر الخارجي في البلدان.

فرّ هؤلاء النفر إلى البصرة واستوطنوها وآثروا السلم والمداهنة لعرض آرائهم ونشر أفكارهم وتزعم هذه الجماعة أبو بلال بن أديّة (شهد صفين مع علي وأنكر التحكيم) وكان من تلامذة ابن أدية عبد الله بن إباض الذي تنسب إليه فرقة الإباضية اليوم.

انتهج ابن إباض الحكمة ورفض الخروج مع المتطرفين بعد لقاء عبد الله بن الزبير في مكة سنة 65 هـ وناصره ضد من ناوأه من بني أمية[1].

2/ بعض طوائف الخوارج:

[1] فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها: غالب بن علي عواجي، ط:4، المكتبة العصرية، جدة، 1422هـ – 2001م، ج1/ص232-234.

وانقسم الخوارج إلى طوائف عديدة وخرجوا على الخلفاء الأمويين والعباسيين وقتلوا المسلمين وكفروا مرتكب الكبيرة، ومن أشهر فرقهم : الأزارقة – النجدات – الصفرية – الإباضية هذه الأخيرة تعتبر أقرب فرق الخوارج إلى أهل السنة مثلما كانت الزيدية أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة[1].

وبعد نجاح حركة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب والأندلس هاجر أتباع ابن إباض إلى المغرب الأوسط خوفا من بطش بني أمية[2]، واستوطنوا واد بني ميزاب، وأنشأوا دولتهم الرستمية التي حكمت نحو ثلاثين ومئة سنة، وهم إلى اليوم يعيشون في منطقة غرداية بالجزائر.

وتوجد الإباضية اليوم في الجزائر وسلطنة عمان وفي زنجبار قرب تنزانيا شرقي إفريقيا[3].

3/ التعريف بعقيدة الإباضية ومذهبهم الفقهي:

أولا: عقيدة الإباضية:

تنسب الإباضية إلى عبد الله بن إباض مؤسس الفرقة (ت86هـ)، وقد بعث ابن إباض برسالة لعبد الملك بن مروان بيّن فيها عقيدته وموقفه من الصحابة، وفيها: الإنكار على عثمان وعلي ومعاوية ويزيد، وتأييد أهل النهروان، ووافق الخوارج في خروجهم إلى أن قال في آخرها: ((فإنا نُشهد الله وملائكته أنا براء منهم وأعداء لهم بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا، نعيش على ذلك ما عشنا، ونموت عليه إذا متنا، ونبعث عليه إذا بعثنا، نحاسب بذلك عند الله))[4]

ورسم الإمام ابن حزم أصول عقيدة الخوارج فقال: " وَمن وَافق الْخَوَارِج فِي إِنْكَار التَّحْكِيم

---

[1] المرجع السابق: ج1/ص235.

[2] المرجع نفسه: ج1/ص253.

[3] المرجع نفسه: ج1/ص254-255.

[4] نقلا عن المرجع نفسه: ج1/ص264.

وتكفير أَصْحَاب الْكَبَائِر وَالْقَوْل بِالْخُرُوجِ على أَئِمَّة الْجور وَإِن أَصْحَاب الْكَبَائِر مخلدون فِي النَّار وَأَن الْإِمَامَة جَائِزَة فِي غير قُرَيْش فَهُوَ خارجي "[1].

ثانيا: مذهبهم الفقهي:

يذكر مؤرخوا الإباضية أن مؤسس مذهبهم الفقهي الإمام جابر بن زيد الأسدي البصري[2]، ويقدّمونه على كل أحد ويروون عنه مذهبهم، وهو من تلاميذ ابن عباس ﵄. ومن مصادرهم في الفقه والعقيدة اعتمادهم على مسند الربيع بن حبيب (ت151هـ) وهو عندهم أصح كتاب بعد القرآن الكريم، وهو عنهم بمنزلة الصحيحين عند أهل السنة والجماعة[3].

إما ادعاؤهم نسبة مذهبهم لفقيه البصرة الإمام جابر بن زيد، فقد ترجم الإمام البخاري لجابر في التاريخ الكبير، وقال: " قال لي علي: حدثنا سفيان، قال: قلت لعمرو: سمعت من أبي الشعثاء من أمر الإباضية شيئا مما يقولون؟، قال: ما سمعت منه شيئا قط، وما أدركت أحدا أعلم بالفتيا من جابر بن زيد "[4].

وإما مسألة مصدرية مسند الربيع وكونه أصح الكتب بعد كتاب الله عندهم، فإن هذا المسند فيه الكثير من المناكير والشواذ وما لا أصل له، بل وفيه حتى الموضوع عن الرسول ﷺ، وعن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، ولم يظهر هذا المسند إلا على يد مرتبه يوسف بن إبراهيم الورجلاني، أي بعد حوالي خمسة قرون من زمن الصحابة، ثم إن مؤلفه الربيع مجهول، وشيخه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة مجهول، وأبو عبيدة هذا يذكرون أنه تلميذ

---

[1] الفصل في الملل والأهواء والنحل: علي بن أحمد المعروف بابن حزم الأندلسي، دط، مكتبة الخانجي، القاهرة، دت، ج2/ص90.

[2] قال الحافظ بن حجر: يلقب بأبي الشعثاء، ثقة فقيه مات سنة 93هـ، ينظر: تقريب التهذيب: ابن حجر العسقلاني، رقم(856) ط:1، دار ابن رحب، القاهرة، 1425هـ – 2004م، ص89.

[3] فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها: مرجع سابق، ج1/ص269.

[4] التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل البخاري،، دط، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، دت، ج2/ ص204.

جابر بالبصرة، والذي انتهت إليه رئاسة الفتيا بها بعد شيخه، ولم تذكر كتب الرجال والتراجم أن لجابر بن زيد تلميذا يسمى أبا عبيدة، وقد ترجم الحافظ المزي لفقيه البصرة وذكر له نحوا من عشرين تلميذا ليس فيهم أبو عبيدة هذا[1]، فكيف يكون هذا المسند المجهول في قرون الرواية والإسناد أصح كتاب بعد القرآن؟![2].

4/ نتاج الخوارج في التفسير.

من الطبيعي أن يلجأ الخوارج للقرآن للاستدلال على عقائدهم ومذاهبهم، وللخوارج منذ نشأتهم قصص عجيبة في فهمهم لبعض نصوص القرآن، ومن غريب ما يُروى: أن واصل بن عطاء مؤسس المعتزلة وقع في أسر الخوارج مع أصحابه، وهموا بقتلهم؛ لأنهم ليسوا معهم، فقال واصل لأصحابه: دعوني وإياهم!. فخرج لهم، فقالوا له: ما أنت وأصحابك؟، قال: نحن مشركون مستجيرون بكم لنسمع منكم كلام الله!!، فقالوا: قد أجرناكم!! وصاروا يعلّمونهم أحكامهم، وهو يقول لهم: قد قبلت أنا ومن معي ما عندكم! ثم قالوا لهم: امضوا آمنين فأنتم إخواننا! فقال لهم واصل: ليس ذلك لكم، بل عليكم أن تبلّغونا مأمننا؛ لأن الله تعالى قال: [فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ((التوبة:6))] قالوا: صدقت. فساروا معهم حتى بلغوا مأمنَهم[3].

وبما أنه لم يبق من طوائف الخوارج إلا الإباضية، وبالنظر للقرون المعاقبة منذ صدر الإسلام وحتى العصور المتأخرة، نرى أن نتاج الإباضية في التفسير قليل مقارنة بنتاج المعتزلة والشيعة.

---

[1] انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن عبد الرحمن الحافظ المزي، تح: بشار عواد معروف، ط:1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1400هـ-1980م، ج4/ص435.

[2] ينظر لنقد مسند الربيع بن حبيب مقال. مسند الربيع بن حبيب الإباضي – دراسة نقدية – سعد بن عبد الله الحميد: مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، العدد(47) رجب 1430هـ، ص281.

[3] الكامل في اللغة والأدب: محمد بن يزيد المبرد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:3، دار الفكر العربي، القاهرة، 0417هـ – 1997م، ج3/ص122.

ومن التفاسير التي ذكرت للإباضية[1]: تفسير عبد الرحمن بن رستم الفارسي مؤسس الدولة الرستمية من أعيان المئة الثالثة، وتفسير هود بن محكّم بن هود الهواري الأوراسي الإباضي (ت282هـ) وتفسيره اختصار لتفسير القاسم بن سلام الجمحي البصري، وتفسير يوسف بن إبراهيم الورجلاني من أعيان المئة السادسة، وثلاثة تفاسير للشيخ محمد بن يوسف اطّفيش الجزائري، والتي سنعرّف بها في العنصر الموالي.

5/ التعريف بالشيخ محمد بن يوسف اطّفيش الإباضي وتفاسيره الثلاثة.

أولا: التعريف بالشيخ اطفيش.

هو محمد بن يوسف بن عيسى اطفيش الجزائري الإباضي، وكان عالما بالتفسير والفقه والأدب، من أعلام الإباضية المتأخرين، خلف أكثر من ثلاثمئة مؤلف منها تفاسيره الثلاثة، ويعد مرجعا في الفقه والتفسير عند الإباضية، وكانت ولادته بوادي ميزاب بالجزائر سنة (1236هـ-1820م) ووفاته بها أيضا سنة (1332هـ-1914م)[2].

ثانيا: التعريف بتفاسيره الثلاثة ومنهجه العام في التفسير.

ألف الشيخ اطفيش ثلاثة تفاسير:

1- تفسير هميان الزاد إلى يوم المعاد:

قال الشيخ عبد الفتاح الخالدي عن الهميان: " توسع فيه وجاء كبير الحجم (خمسة عشر مجلد) وقد ألفه في شبابه، وكان يرجع فيه إلى تفسير الكشاف للزمخشري وتفسير أنوار التنزيل للبيضاوي مع أن المؤلف إباضي "[3].

---

[1] ينظر لمزيد استقصاء عن هؤلاء المفسرون: تعريف الدارسين: للخالدي، ص511.

[2] انظر ترجمته: الأعلام: لخير الدين الزركلي، ط:15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ج7/ص156-157.

[3] تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص523.

وقال المصنف في مقدمته موضحا مسلكه العام في التفسير: "... وسماه (هميان الزاد إلى يوم المعاد) والله المستعان على وجوده بعد العدم، والمأمول فيه قبوله، ويتضمن إن شاء الله الكفاية في الرد على المخالفين فيما زاغوا فيه، وإيضاح مذهب الإباضية الوهبية واعتقادهم، وذلك بحجج نقلية وعقلية والله أعلم "[1].

وقال عنه الشيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله وهو يبيّن منهجه العام: " إن الرجل – وقد قرأ الكثير من كتب التفسير – تأثر بما جاء فيها، واستفاد الكثير من معانيها مما يدعونا إلى القول بأن تفسيره يمثل التفسير المذهبي للخوارج الإباضية في أواخر عصورهم... وهو لا يكاد يمر بآية يمكن أن يجعلها في جانبه إلا مال بها إلى مذهبه، وجعلها دليلاً عليه، ولا بآية تصارحه بالمخالفة إلا تلَّمس لها كل ما في طاقته من تأويل، ليتخلص من معارضتها.. وقد يكون تأويلاً متكلفاً، وفاسداً، لا ينجيه من معارضة الآية له، لكنه التعصب الأعمى... يدفع الإنسان إلى أن ينسى عقله، ويطرح تفكيره الصائب، ليمشي مع الهوى بعقل فارغ وتفكير خاطئ!! "[2].

2- تفسير داعي العمل ليوم الأمل:

شرع فيه بعدما أكمل الهميان، لكنه لم يكمله، وصرف النظر عنه.

3- تفسير "تيسير التفسير":

اختصر فيه تفسيره الأول لتيسير فهمه على الدارسين، وألفه في أواخر حياته، بعدما نضج فكره وتخلى فيه عن الكثير من الأخطاء التي وقع فيها في الهميان، واستدرك على نفسه مسائل عديدة فاتته.

---

[1] نقلا عن: تعريف الدارسين: ص524.

[2] التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، دط، مكتبة وهبة، القاهرة، دت، ج2/ص237.

قال في خطبته مبينا الغرض من تأليفه: "... أما بعد: فإنه لما تقاصرت الهمم عن أن تُهيم بهميان الزاد إلى يوم المعاد، الذي ألفته في صغر السنّ، وتكاسلوا عن تفسيري داعي العمل ليوم الأمل أنشطتُ همّمي إلى تفسير يضبط ولا يملّ، فإن شاء الله قبله بفضله وأتمّه قبل الأجل "[1].

مكانة تفسير التيسير عند الإباضية:

يعد تفسير (تيسير التفسير) للشيخ اطفيش أفضل وأجود من (هميان الزاد) بكثير، وهو العمدة عند الإباضية في الجزائر وعُمان[2]، وهذا لعدة أسباب:

- كونه مؤلفٌ على أصول الإباضية الكلامية والفقهية والفكرية.
- كونه اختصار للأصل (الهميان) والنفوس تميل للمختصر وتفرّ من المطوّل.
- ألفه المصنف رحمه الله في آخر عمره بعدما نضج فكره وقويت قريحته واستدرك على نفسه بعض ما فاته في حداثة سنه.
- أثيرت حول التيسير عديد الدراسات والبحوث الأكاديمية الخادمة لمضمونه والمقرّبة لمنهجه والمسهلة لمسائله.

---

[1] تيسير التفسير: محمد بن يوسف اطفيش، تح: إبراهيم بن محمد طلاي، ط:1، وزارة التراث والثقافة، مسقط، 1425هـ-2004م، ج1/ص1.

[2] ينظر: تعريف الدارسين: ص525.

المحاضرة رقم05

نماذج تطبيقية من تفاسير الإباضية

وسنقتصر في الجانب التطبيقي للتعريف بمنهج الإباضية في التفسير بنماذج وأمثلة من تفسير التيسير لشيخ اطفيش رحمه الله، ونقسم هذا الجزء التطبيقي إلى قسمين: موقفه من بعض مسائل العقيدة – وموقفه من بعض المسائل الفقهية. ومن خلال هذين القسمين التطبيقيين نستبين مسلك الشيخ اطفيش في التفسير.

أولا: موقفه من بعض مسائل العقيدة.

– تأويل آيات الصفات:

ونمثل لذلك بتأويل صفة الفوقية عند قوله تعالى [وهو القاهر فوق عباده((الأنعام:18))] حيث قال: " والفوقية علو شأن، لا حس تعالى الله عن الجهة، والجملة استعارة تمثيلية لعلو شأنه تعالى، والاستعارة في (فوق) بأنه شبه الغلبة بمكان محسوس، وقيل: كنّى عن القهر والعلوّ بالغلبة..."[1].

وهذا تأويل صريح لصفة الفوقية الثابتة بالنصوص القطعية، وأهل السنة يثبتون الصفات من غير تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تجسيم، ويمرّون آيات الصفات على ظاهرها دون تفويض.

– تخليد صاحب الكبيرة في النار

والشيخ اطفيش يقول بتخليد صاحب الكبيرة في النار كما هي عقيدة الإباضية، فعند قوله تعالى [بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئاته فأولائك أصحاب النار هم فيها خالدون ((البقرة:18))]حيث قال: " ذنبا كبيرا أو صغيرا أصر عليه، فالسيئة تشمل الشرك وما

[1] تيسير التفسير: ج4/ص233.

دونه، ولا دليل على تخصيص الشرك... (فأولائك أصحاب النار هم فيها خالدون) لا يخرجون منها. المشركون والفاسقون، والأصل في الخلود: الدوام، وحمله على المكث الطويل إنما يصح لدليل، ولا خلاف في دوام المشرك في النار، ومعنى إحاطة الخطيئة به: أنها أهلكته إذا لم يتخلص منها بالتوبة..."[1].

وعند قوله تعالى [ومن عاد فأولائك أصحاب النار هم فيها خالدون ((البقرة:275))] قال: " وأصحاب الكبائر من أهل التوحيد مخلدون..."[2].

قال الأستاذ محمد خواجا: "...أما النصوص التي تواجه الشيخ وتدل على عفو الله ومغفرته، فإنه يقوم بتخريجها بما يتفق وما ذهب إليه فعند صريح قوله تعالى [وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ((الرعد:13))] قال: كبائرهم وصغائرهم إذا لم يصروا، ولا تعجزه معصية ولو بلغت ما بلغت، والآية زجر عن الإياس لا مغفرة بلا توبة، أو هي في الصغائر لمن اجتنب الكبائر...ولا دليل فيها على مغفرة المصر، فلنا إحباط الحسنات بالسيئات"[3].

- إنكار الشفاعة لأهل الكبائر.

وقد سار الشيخ على رأى مذهبه في هذه المسألة، فعند قوله تعالى [واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ((البقرة:48))] حيث قال: " والآية دليل لنا وللمعتزلة على أنه لا شفاعة لأهل الكبائر؛ لأن الآية ولو كانت في المشركين، لكنها في صفة يوم من شأنه أنه لا شفاعة فيه بدفع العذاب عن مستحقه، ولا مقام أو زمان من مقامات الموقف وأزمنته نُصّ فيها على ثبوتها للفساق ولا لشخص مصرّ"[4].

---

[1] المرجع السابق: ج1//158-160

[2] الرجع نفسه: ج2/ص198.

[3] ينظر: منهج الشيخ اطفيش في تفسيره تيسير التفسير: ص185.

[4] تيسير التفسير: ج1/ص93.

وقد ردّ أهل السنة هذا الفهم، وأثبتوا من خلال نصوص الكتاب والسنة شفاعة الأنبياء للعصاة الموحدين، قال الإمام القرطبي: " مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ الشَّفَاعَةَ حَقٌّ وَأَنْكَرَهَا الْمُعْتَزِلَةُ (والإباضية يوافقونهم في إنكارها) وَخَلَّدُوا الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمُذْنِبِينَ الَّذِينَ دَخَلُوا النَّارَ فِي الْعَذَابِ. وَالْأَخْبَارُ مُتَظَاهِرَةٌ بِأَنَّ مَنْ كَانَ مِنَ الْعُصَاةِ الْمُذْنِبِينَ الْمُوَحِّدِينَ مِنْ أُمَمِ النَّبِيِّينَ هُمُ الَّذِينَ تَنَالُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ... والْأَخْبَارُ الْكَثِيرَةُ الَّتِي تَوَاتَرَتْ فِي هذا الْمَعْنَى...وكذا الْإِجْمَاعُ مِنَ السَّلَفِ عَلَى تَلَقِّي هَذِهِ الْأَخْبَارِ بِالْقَبُولِ خير ردّ على مذهب أهل الباطل "[1].

ثانيا: موقفه من بعض المسائل الفقهية.

– إنكار المسح على الخفين:

ينكر الإباضية المسح على الخفين، وعلى هذه الطريقة سار الشيخ اطفيش في تفسيره، فعند تفسيره لقوله تعالى: [وامسحوا برؤوسكم وأرجلَكم إلى الكعبين ((المائدة:5))] قال رحمه الله: " (وأرجلَكم) عطف على وجوه أو أيدي فهي مغسولة كما جاءت به السنة، وعمل الصحابة، وهو قول الجمهور، وكما جاء الحدّ بقوله تعالى [إلى الكعبين] ولم يجئ في المسح الحد...، ثم إن كانت تمسح فقد نسخ مسحها بالحديث..."[2].

وهكذا نجد الشيخ ينتصر لمذهبه، ويعتمد على روايات ضعيفة؛ والضعيف لا يقوى لمعارضة الصحيح أو المتواتر، قال ابن عبد البرّ: " لا أعلم روي عن أحد من فقهاء السلف إنكاره إلا عن مالك، مع أن الروايات الصحيحة عنه مصرحة بإثباته، وقد صرح جماعة من الحفاظ

---

[1] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، ط:2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ-1964م، ج1/ص378.

[2] تيسير التفسير: ج3/ص482.

بأن المسح على الخفين متواتر، وجمع بعضهم روّاته فجاوزوا الثمانين... وقال الحسن البصري: حدثني سبعون من الصحابة بالمسح على الخفين... "[1].

– إنكار رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام ووضع اليمنى على اليسرى :

سار الشيخ اطفيش على مذهب الإباضية في القول بعدم رفع اليدين مع التكبير في الصلاة، وعدم وضع اليمنى على اليسرى، ونفى أن يكون هناك حديثا صحيحا يكون حجة لمن قال بذلك، يقول عند تفسيره لقوله تعالى [فإذا فرغت فانصب ((الشرح:7))] : " وكان ﷺ إذا رأى البيت رفع يديه، ويقول: ترفع الأيادي إذا رُئي البيت وعلى الصفا والمروة، وعشية عرفه وفي جمع، وعند الجمرتين وعند الميّت، وزاد غيرنا – يعني أهل السنة – عند تكبيرة الإحرام "[2].

وعند قوله تعالى [فصل لربك وانحر ((الكوثر:2))] يقول: " وفي البيهقي والحاكم وابن أبي حاتم وابن مردويه: سأل النبي ﷺ عن النحر جبريلَ عليه السلام ،فقال: (ارفع يديك – يعني إلى نحرك – عند كل تكبيرة في الصلاة، فإن ذلك صلاتنا معشر الملائكة وزينة الصلاة)، قلت: هذا حديث موضوع لو صحّ للزمه النبي ﷺ أو أكثر منه في صلواته، وكذلك الصحابة، ولم نجد حديثا صحيحا في أنه فعله.... وحديث البخاري وغيره (إنه وضعُ يمناك على يسراك ثم وضعهما على صدرك في الصلاة)...كل ذلك موضوع ولا يصح "[3].

---

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: محي الدين الخطيب، دط، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، ج1//ص305-306.

[2] تيسير التفسير: ج16/ص281.

[3] المرجع السابق: ج16/ص397.

قال الأستاذ محمد خواجا ناقدا: " لا شك أن الشيخ كما هو واضح يحاول تعمية هذه المسألة وخلطها، ولكن الشيخ من أجل مناصرة مذهبه... حكم على الأحاديث التي اعتمدها أهل السنة بالوضع مع أنها في الصحيحين "[1].

- إنكار صحة صوم الصائم إذا أصبح جنبا بعد طلوع الفجر:

وعلى شاكلة الإباضية سار الشيخ اطفيش رحمه الله في هذه المسألة؛ إذ يقول عند تفسير قوله تعالى [وكلوا واشربوا حتى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ((البقرة:187))]: " (حتى) غاية للأكل والشرب لا لهما وللجماع لقوله ﷺ: ((من أصبح جنبا أصبح مفطرا))[2]، فيجب الكف عنه إذا لم يبق ما يتطهر فيه "[3].

قال الأستاذ محمد خواجا معقبا: " وهكذا رجح الشيخ آراء مذهبه وانتصر له بما استند إليه من هذا الحديث، وهو بذلك يخالف جماهير العلماء من الصحابة والتابعين، والأئمة الأربعة الذين ذهبوا إلى أن من أصبح جنبا يكون صيامه صحيحا، واستدلوا بحديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ ((كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم))[4]، وأما الحديث الذي استند إليه الشيخ فقد أجاب عليه الجمهور أنه منسوخ أو محمول على من طلع الفجر عليه وهو مجامع فاستدام، أو هو إرشاد إلى الأفضل "[5].

نكتفي بهذا القدر من الأمثلة التطبيقية التي تبيّن مسلك الإمام اطفيش في تفسير القرآن، ويظهر من خلالها تأثر الشيخ بمذهبه ومعتقده في التعامل مع الآيات القرآنية.

---

[1] منهج الشيخ اطفيش في تفسيره تيسير التفسير: ص223، بتصرف يسير.

[2] أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة، وأورده الحافظ ابن حجر في الفتح وذكر أقوال نقاد الحديث فيه.

[3] تيسير التفسير: ج1/ص401.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: الصيام، باب: الصائم يصبح جنبا رقم: (1926) ينظر: صحيح البخاري: ج37ص29.

[5] منهج الشيخ اطفيش في تفسيره تيسير التفسير: محمد خواجا، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الأردن، 1994م، ص222.

المحور الثالث

فرقة الشيعة وموقفهم

من تفسير القرآن

المحاضرة: رقم 06

التعريف بفرقة الشيعة وبيان عنايتهم بالتفسير

1/ نشأة فرقة الشيعة:

الشيعة في أصل التسمية هم الذين شايعوا وناصروا عليّ بن أبي طالب ﷺ، واعتبروه هو الإمام بعد رسول الله ﷺ، وأن الخلافة حق له ولذريته من بعده. ويرجع تاريخ هذه التسمية إلى معركة صفين سنة 37هـ، وقيل إلى موقعة الجمل قبلها بأشهر حين قصد عليا البصرة لقتال طلحة والزبير حتى يفيئا إلى أمر الله تعالى فسميّ من تبعه على ذلك بالشيعة[1].

وترجع جذور الشيعة الأولى كعقيدة إلى عبد الله بن سبإ اليهودي، الذي ظهر في أواخر خلافة عثمان ﷺ، وهو أول من أحدث القول بالعصمة لعلي، وبالنص عليه في الخلافة، وقال بالوصية التي نقلها من اليهودية، فكما أن يوشع بن نون وصيّ موسى عليه السلام، فكذلك علي وصي النبي ﷺ ولكل نبي وصيّ، ومعنى هذه النظرية السبإية أن روح النبي ﷺ انتقلت بوفاته إلى علي مباشرة، وهي باقية في سلالة علي واحدا بعد واحد في شكل تناسخي منظم، لكن الخلفاء قبله اغتصبوا الخلافة منه ومن ذريته، وزعم أن عليا لم يمت وهو أول من قرّر مبادئ القول بالرجعة[2].

ويطلق عليهم اسم الروافض؛ لأنهم رفضوا إمامة أبي بكر وعمر، أو لكونهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين (ت122هـ) وذلك حين خرج على هشام بن عبد الملك فتبعه جماعة من الشيعة وطلبوا منه أن يتبرأ من أبي بكر وعمر فأبى ذلك زيد وذكرهما بخير ، فانشقوا عنه فقال لهم: رفضتموني؟، قالوا: نعم، فسموا من حينها بالروافض[3]، ومن وقتها انقسمت الشيعة إلى زيدية وروافض إمامية؛ فَالرَّافِضَةُ تَتَوَلَّى أَخَاهُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيّ وَالزَّيْدِيَّةُ يَتَوَلَّوْنَ زَيْدًا وَيُنْسَبُونَ إِلَيْهِ[4].

---

[1] ينظر: جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية: محمد أحمد لوح، ط:1، دار ابن القيم، الدمام، 1424هـ – 2003م، ص279.

[2] ينظر: الملل والنحل: الشهرستاني، 174/1، وينظر: جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية: ص279-280..

[3] ينظر: مجموع الفتاوى: شيخ الإسلام ابن تيمية، ج13/ص35-36.

[4] المصدر نفسه: ج13/ص36.

2/ بعض الطوائف الشيعية:

للشيعة عدة طوائف نذكر منها:

- **الإسماعيلية:** وهي فرقة باطنية كافرة، وتنسب إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، ويرون أن الإمامة انتقلت من جعفر الصادق إلى ابنه الأكبر إسماعيل، وليس إلى ابنه موسى الكاظم كما تقول الشيعة الإمامية.

ويسمون بالباطنية، لقولهم المراد من القرآن باطنه دون ظاهره، ولهم عدة أسماء معاصرة كالبهائية والقاديانية والبكداشية، وتوجد هذه الطوائف في عديد الدول اليوم كمصر وتركيا والهند وبكستان وفلسطين... الخ، ونجح الباطنيون في إقامة الدولة العبيدية في مصر والتي أسمؤها (الدولة الفاطمية) واستمر حكمها قرابة القرنين من الزمن إلى أن قضى عليها القائد المظفر صلاح الدين الأيوبي.[1]

- **الزيدية:** وهم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، حيث خرج عن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، ولكن أتباعه خذلوه فقتُل وصُلب، والزيدية موجودة في شمال اليمن وهي أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة، ولهم مذهب فقهي يعرف بالزيدية، وقد عدّ الدكتور الذهبي (فتح القدير) للشوكاني من بين تفاسيرهم وهذا ظنا منه أن الإمام الشوكاني يمثل بفكره وعقيدته ومسلكه في التفسير صورة حيّة عن التفسير عند الزيدية[2]، ولذلك تعقبه الأستاذ الخالدي قائلا: " لكننا لا نعتبره كذلك؛ لأنه عاد إلى مذهب أهل السنة، وعددنا تفسيره من كتب التفسير الأثري النظري "[3].

- **الإمامية الاثنا عشرية:** وهم جمهور الشيعة الموجودون في إيران والعراق، ويسمون (الإمامية) لأنهم يقولون بوجوب الإمام المعصوم، وأنه معيّن من عند الله، وأن الإمامة محصورة في نسل الحسين بن عليّ ﷺ[4].

---

[1] ينظر: التفسير والمفسرون: لمحمد حسين الذهبي، ج2/ص174.

[2] المصدر نفسه: ج2/ص210، وما بعدها.

[3] تعريف الدارسين: عبد الفتاح الخالدي، ص507.

[4] المرجع نفسه: 507.

ويسمون (الاثنا عشرية) لأن الأئمة عندهم اثنا عشر إماما، وهم: عليّ بن أبي طالب ثم ابنه الحسن ثم أخوه الحسين، ثم ابنه علي زين العابدين، ثم ابنه محمد الباقر، ثم ابنه جعفر الصادق، ثم ابنه موسى الكاظم، ثم ابنه عليّ الرضا، ثم ابنه محمد الجواد، ثم ابنه علي الهادي، ثم ابنه الحسن العسكري، وأخيرا ابنه محمد المهدي المنتظر الإمام الاثنا عشر، والذي يزعمون أنه دخل سردابا في دار أبيه وأنه سيخرج في آخر الزمان[1].

ويسمون (الجعفرية) نسبة إلى الإمام جعفر الصادق (أحد فقهاء الإسلام والأئمة الأعلام) والذي يتبعون مذهبه الفقهي[2].

3/ أصول العقيدة الشيعية.

للشيعة الإمامية أصول عقدية احتكموا إليها في تأويل النصوص الشرعية ومنها القرآن الكريم، ونذكر من هذه الأصول:

- **القول بوجوب الإمام المعصوم**: ومعناه في معتقد الشيعة: " أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، فكما أن الله يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة، ويؤيده بالمعجزة التي هي كنص من الله عليها، فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيّه بالنص عليه وأن ينصّبه إماما للناس من بعده"[3].

وقد روى الكُلَيْني في (الكافي) الذي هو بمنزلة صحيح البخاري عندهم: أن إمامهم الرضا سئل: ما الفرق بين الرسول والنبي والإمام، فأجاب: الرسول: الذي ينزل عليه جبريل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي وربما رأى في منامه نحو رؤى إبراهيم عليه السلام، والنبي: ربما سمع الكلام، وربما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام: هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص[4].

- **دعوى تلقي التأويل عن الأئمة**: يرى الشيعة أن حكمة التدرج في التشريع اقتضت بيان جملة من الأحكام وكتمان جملة أخرى، ولكن النبي سلام الله عليه أودعها عند أوصيائه من الأئمة، وكل

---

[1] المرجع السابق: ص507.

[2] المرجع نفسه: ص507.

[3] جناية التأويل الفاسد: ص295.

[4] المرجع نفسه: ص296.

وصيّ يعهد بها إلى الآخر لينشرها في الوقت المناسب لها حسب الحكمة، ومن هنا وضع علماء الشيعة جملة من المسانيد ينسبونها زورا وكذبا لآل البيت الطاهرين أو لأئمتهم المعصومين يدّعون من خلالها تفسير بعض الآيات بما يناسب أهواءهم أو استخراج بعض المعاني الباطنية من نصوص الوحي بما يلائم معتقدهم[1].

- **اعتبار النيل من الصحابة دينا:**

لقد شحذ كبار مجتهدي الشيعة كتبهم ومؤلفاتهم[2] بضروب مختلفة من السبّ والشتم لجمهور صحابة رسول الله ﷺ خاصة الشيخين الصديق والفاروق رضي الله عنهما، بل واعتبروا ذلك قربة لرب العالمين، ويلحق بذلك الوقيعة في أعراض أمهات المؤمنين كعائشة وحفصة طهر الله عِرضهما، ومستندهم في ذلك أكاذيب مسندة إلى أئمة آل البيت وهم منها براء.

ولم يكتفوا بالسب والشتم، بل كفّروا أجلة الصحابة الذين زكاهم الله في كتابه وبشرهم رسوله ﷺ بالجنة؛ وزعموا أن الصحابة ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ ولم يبق منهم إلا ثلاثة أو أربعة ولا يزيدون عن سبعة في جميع الروايات الشيعية، ومعلوم أن هذا الأمر محض افتراء والصحابة الكرام منه براء، ولم ينقل هذا في كتب التاريخ الموثوقة، ولا ثبت في كتب التراجم المعتمدة، وحاشا الصحابة الكرام أن يقعوا في هذا وهم الذين بايعوا رسول الله على السمع والطاعة والموت نصرة لهذا الدين[3].

- **اللجوء إلى التقية هروبا من المعارضة والمجادلة:**

تعتبر التقية أصلا أصيلا في عقيدة الروافض الاثنا عشرية، ويعرفها الخميني بقوله: " هي أن يقول الإنسان قولا مغايرا للواقع أو يأتي بعمل مناقض لموازين الشريعة، وذلك حفظا لدمه أو عرضه أو ماله "[4].

---

[1] ينظر: المرجع السابق: ص301.

[2] مثل الكافي للكليني، وكشف الأسرار للخميني، وتفسير العياشي وغيرها هذه المؤلفات المحشوة بألوان السب وصنوف الشتم للصحابة الكرام.

[3] ينظر: جناية التأويل الفاسد: مرجع سابق، ص303-307.

[4] نقلا عن المرجع نفسه: ص309.

ولجأ الشيعة إلى هذا المبدأ أو الأصل للتظاهر بإرادة التعايش والتفاهم والتقارب مع أهل السنة من جهة، وللهروب من مزاحمة النصوص المنادية بأكاذيبهم وافتراءاتهم من جهة ثانية.

5/ موقف أهل السنة والجماعة من الشيعة.

- **موقف الإمام مالك**: نقل الإمام ابن كثير قول الإمام ملك القاضي بتكفير الروافض الطاعنين في الصحابة رضوان الله عليهم، وذلك في أواخر تفسير سورة الفتح عند قوله تعالى في وصف صحابة رسول الله [ليغيظ بهم الكفار] قال: " وَمِنْ هَذِهِ الْآيَةِ انْتَزَعَ الْإِمَامُ مَالِكٌ -رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ-بِتَكْفِيرِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ، قَالَ: لِأَنَّهُمْ يَغِيظُونَهُمْ، وَمَنْ غَاظَ الصَّحَابَةُ فَهُوَ كَافِرٌ لِهَذِهِ الْآيَةِ. وَوَافَقَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى ذَلِكَ "[1].
- **موقف ابن تيمية**: قال ابن تيمية مبيّنا موقف أهل السنة من سب الصحابة ما نصه: " وَيَتَبَرَّءُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ . وَمِنْ طَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ[2] الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلِ أَوْ عَمَلٍ، وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ. وَيَقُولُونَ: إنَّ هَذِهِ الْآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مساوئهم مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ وَالصَّحِيحِ مِنْهُ: هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ إمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ تَجُوزُ عَلَيْهِمْ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ وَلَهُمْ مِنْ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إنْ صَدَرَ حَتَّى إنَّهُ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنْ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ لِأَنَّ لَهُمْ مِنْ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ

---

[1] تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن كثير الدمشقي، تح: سامي بن محمد سلامة ط:2، دار طيبة للنشر والتوزيع، دمشق، 1420هـ – 1999م، ج7/ص362.

[2] قال الشيخ العثيمين في شرح العقيدة الواسطية: النواصب على عكس الروافض، قابلوا البدعة بالبدعة، فلما رأوا الرافضة يغالون في آل البيت؛ قالوا: إذا نبغض آل البيت ونسبهم... ودائما يكون الوسط هو خير الأمور، ومقابلة البدعة بالبدعة لا تزيد البدعة إلا قوة. ينظر: شرح العقيدة الواسطية: محمد بن صالح العثيمين، إعداد: فهد بن ناصر السليمان، ط:1، دار الثريا، الرياض، 1419هـ-1998م، ص 616-617.

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ) وَ (إِنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ) "[1].

رأي الشيخ عبد العظيم الزرقاني: قال في مناهل العرفان: " الشيعة بالغوا وأسرفوا في حب الإمام وتقديره وهم فرق: فمنهم من أغرق في نفس التشيع حتى كفر وعلى رأس هؤلاء عبد الله بن سبأ اليهودي عدو الله الذي ما أظهر الإسلام إلا بقصد الكيد له والإفساد فيه. ولهذا كانت تلك الفرقة في موقف خصومة وحرب من المسلمين حتى ورد أن الإمام عليا نفسه شن الغارة عليهم وحاربهم وطاردهم. ومنهم قوم معتدلون لم يسقطوا في هاوية الكفر وإن خالفوا أهل السنة والجماعة في تفضيل أبي بكر وعمر وعثمان وتقديمهم على الإمام علي في الخلافة رضي الله عنهم أجمعين "[2].

4/ نتاج التفسير عند الشيعة.

للشيعة الإمامية تفاسير عديدة قديمة وحديثة، وهي متفاوتة في الغلو والاعتدال، ذكر منها الدكتور حسين الذهبي ثلاثة عشر منها، ونحن نورد شطرا مختصرا من كلام الدكتور في التعريف ببعضها: " تفسير الحسن العسكري، المتوفى سنة 245 هـ لم يتم، وهو مطبوع، تفسير محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي الكوفي المعروف بـ "العياشي" من علماء القرن الثالث الهجري، تفسير عليّ بن إبراهيم القُمّي. في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري، وهو تفسير مختصر يعتمد عليه أرباب هذا المذهب كثيراً، وهو مطبوع في مجلد واحد كبير، (الكافي) لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي المتوفى سنة 328هـ وهو عمدة تفاسير الشيعة وعليه يعوّلون وبكل ما فيه يؤمنون، تفسير التبيان: للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي المتوفى سنة 460 هـ وهو الذي استمد منه الطبرسي تفسيره، تفسير مجمع البيان: لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى سنة 538 هـ، وهو مطبوع في مجلدين كبيرين. تفسير الصافي لمحمد بن مرتضى، الشهير بملاّ محسن الكاشي، من علماء القرن الحادي عشر الهجري، وهو مطبوع في مجلد واحد كبير. تفسير البرهان:

---

[1] مجموع الفتاوى: أحمد بن عبد الحليم الحراني، تح: عبد الرحمن بن محمد بن القاسم، دط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1416هـ – 1995م، ج3/ص153-154.

[2] مناهل العرفان: محمد عبد العظيم الزرقاني، ط:3، مطبعة عيسى الحلبي وشركاؤه، القاهرة، دت، ج2/ص77.

لهاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسيني البحراني، المتوفى سنة 1107 هـ وهو مطبوع في مجلدين. (مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار) للمولى عبد اللطيف الكازراني المتوفى سنة 1138هـ، تفسير القرآن: للمولى السيد عبد الله بن محمد رضا العلوي المتوفى سنة 1242 هـ وهو مطبوع في مجلد كبير. (بيان السعادة في مقامات العبادة) لسلطان بن محمد بن حيدر الخراساني، من علماء القرن الرابع عشر الهجري، وهو مطبوع في مجلد كبير. (آلاء الرحمن في تفسير القرآن) لمحمد جواد بن الحسن النجفي المتوفى سنة 1352 هـ ، لم يتم، ومطبوع منه الجزء الأول وهو كل ما كتبه المؤلف قبل أن تعاجله المنيّة، وقد وصل فيه إلى الآية 56 من سورة النساء "[1].

وسنقتصر على بعض الأمثلة في المحاضرة التطبيقية، ونمثل من بعض هذه التفاسير لنتعرف على منهج مفسري الشيعة في التعامل مع الآيات القرآنية، وكيف أثر الهوى والمعتقد في تفسيرهم للقرآن الكريم.

[1] التفسير والمفسرون: محمد السيد حسين الذهبي، دط، مكتبة وهبة، القاهرة، دت، ج2/ص32-34، بتصرف.

المحاضرة رقم 07

نماذج تطبيقية من تفاسير الشيعة

قبل أن نذكر النماذج التطبيقية التي نستبين بها موقف القوم من تفسير القرآن، نذكر أولا منهجهم العام في التفسير، ويعدّ محتوى مقدمة تفسير (مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار) للمولى عبد اللطيف الكازراني (أحد متأخري الشيعة) رسما عريضا لمنهج الشيعة الإمامية في التعامل مع القرآن، وقد قام الدكتور حسين الذهبي رحمه الله بتحليل هذه المقدمة العلمية تحليلا تشريحيا، وخلص إلى المنهج العام في التفسير عند الشيعة.

1- المنهج العام في التفسير عند الشيعة[1]:

- اعتمادهم على الأخبار المسندة للأئمة البررة؛ إذ هم الأعرف بمعاني القرآن بعد رسول الله ﷺ، في اعتقادهم، والتزامهم حذف الأسانيد رغبة منهم في الاختصار.
- أنهم لا يتعرضون لبيان جميع ما يتعلق بظاهر الآيات إلا إذا وجدوا أن التصريح بالمعنى الظاهر أمر لازم محتم، وقد جعلوا مدار تفاسيرهم على بيان ما يتعلق بالبطون لخلو أكثر التفاسير منها أو من جُلِّها.
- أنهم إذا لم يعثروا على نص يفسِّروا به الآية اجتهدوا في تفسيرها على وفق الأخبار العامة المطلقة التي يمكن استخلاص معنى الآيات منها.
- أنهم يحرصون كل الحرص على ذكر ما يعرفونه من قراءة أهل البيت عند تفسير كل آية من القرآن.

2- نماذج من تفسير الحسن العسكري:

ينسب هذا التفسير لمؤلفه أبو محمد الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الإمام الحادي عشر عند الإمامية الاثنا عشرية، والمعروف بالحسن العسكري، وهو والد المهدي المنتظر. وُلد سنة 231 هـ بالمدينة على الراجح، وتوفي بها سنة 260هـ.

---

[1] ينظر: التفسير والمفسرون: مرجع سابق: ج2/ص37.

ذكر الحسن العسكري فيما ينسب له تفسير " أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم " منسوباً إلى علي رضي الله عنه، وفيه يقول علي: " ألا أُنبئكم ببعض أخبارنا؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين. قال: إن رسول الله لما بنى مسجده بالمدينة وأشرع فيه بابه وأشرع المهاجرين والأنصار أبوابهم، أراد الله إبانة محمد وآله الأفضلين بالفضيلة، فنزل جبريل عن الله تعالى: بأن سُدُّوا الأبواب عن مسجد رسول الله قبل أن ينزل بكم العذاب، فأول مَن بعث إليه رسول الله يأمره بسد بابه العباس بن عبد المطلب، فقال: سمعاً وطاعة لله ولرسوله – وكان الرسول معاذ بن جبل – ثم مرَّ العباس بفاطمة فرآها قاعدة على بابها وقد أقعدت الحسن والحسين، فقال لها: ما بالك قاعدة؟ انظروا إليها كأنها لبؤة بين يديها جرواها، أتظن أن رسول الله يُخرج عمه ويُدخل ابن عمه؟! فمرَّ بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها: ما بالك قاعدة؟ قالت: أنتظر أمر رسول الله بسد الأبواب، فقال لها: إن الله تعالى أمرهم بسد الأبواب واستثنى منهم رسول الله، وإنما أنتم نفس رسول الله. ثم إن عمر بن الخطاب جاء فقال: أحب النظر إليك يا رسول الله إذا مررتَ إلى مُصَلاك، فأْذنْ لي في فُرجة أنظر إليك منها، فقال: قد أبى الله عَزَّ وجَلَّ ذلك، قال: فمقدار ما أضع عليه وجهي، قال: قد أبى الله ذلك، قال: فمقدار ما أضع عليه إحدى عَيْنيّ، قال: أبى الله ذلك، ولو قلتَ قدر طرف الإبرة لم آذن لك، والذي نفس محمد بيده ما أنا أخرجتكم ولا أدخلتهم، ولكن الله أدخلهم وأخرجكم.. ثم قال: لا ينبغي لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت في هذا المسجد جُنُباً إلا محمدا وعليا وفاطمة والحسن والحسين والمنتجبون من آلهم الطيبين من أولادهم. قال: فأما المؤمنون فقد رضوا وسلَّموا، وأما المنافقون فاغتاظوا لذلك وأنفوا، ومشى بعضهم يقول إلى بعض فيما بينهم: ألا ترون محمداً لا يزال يخص بالفضائل ابن عمه ليُخرجنا منها صفراً، والله لئن أنفذنا له في حياته لنأتينّ عليه بعد وفاته، وجعل عبد الله بن أُبَيّ يصغى إلى مقالتهم ويغضب تارة ويسكن أخرى، ويقول لهم: إن محمداً لمتألِّه، فإياكم ومكاشفته، فإن مَن كاشف المتألِّهَ انقلب خاسئاً حسيراً وينغص عليه عيشه. وإن الفطن اللبيب مَن يتجرع على الغُصَّة لينتهز الفُرصة. فبينما هم كذلك إذا طلع رجل من المؤمنين يقال له زيد بن أرقم فقال لهم: يا أعداء الله، أباللهِ تُكَذِّبون؟ وعلى رسوله تطعنون؟ ولدينه تكيدون؟ والله لأُخْبِرن رسول الله بكم، فقال عبد الله ابن أُبَيّ والجماعة: واللهِ لئن أخبرته بنا لنكذبنّك ولنحلفن له، فإنه إذن يُصدِّقنا، ثم واللهِ لنقيمن عليك من يشهد عليك عنده بما يوجب قتلك أو قطعك أو حدك، قال: فأتى زيد رسول الله فأسَرَّ

إليه ما كان من عبد الله بن أُبَيّ وأصحابه.... ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلتفت إلى ما بلغه عنهم، وأمر زيداً فقال: "إن أردت أن لا يصيبك شرهم ولا ينالك مكرهم فقل إذا أصبحت: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم، فإن الله يعيذك من شرهم، فإنهم شياطين يُوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً، وإذا أردت أن يُؤَمِّنك بعد ذلك من الغرق والحرق والسرق فقل إذا أصبحت: ((بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله، بسم الله لا يسوق الخير إلا الله، بسم الله ما شاء الله ما يكون من نعمة فمن الله، بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، بسم الله ما شاء الله وصلى الله على محمد وآله الطيبين)) فإن مَن قالها ثلاثاً إذا أصبح أمن من الغرق والحرق والسرق حتى يمسي، ومَن قالها ثلاثاً إذا أمسى أمن من الحرق والغرق حتى يصبح، وإن الخضر وإلياس يلتقيان في كل موسم، فإذا تفرقا تفرقا عن هذه الكلمات، وإن ذلك شعار شيعتي، وبه يمتاز أعدائي من أوليائي يوم خروج قائمهم... "[1].

وعند تفسيره لقوله تعالى في سورة البقرة: {وَمِنَ الناس مَن يَقُولُ آمَنَّا بالله وباليوم الآخر وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ} [البقرة:8] يقول: " قال العالم موسى بن جعفر: إن رسول الله لما أوقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في يوم الغدير موقفه المشهور المعروف، ثم قال: يا عباد الله؛ انسبوني، فقالوا: أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ثم قال: يا أيها الناس: ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، فنظر إلى السماء وقال: اللّهم اشهد بقول هؤلاء – وهو يقول ويقولون ذلك ثلاثاً – ثم قال: ألا فمَن كنتُ مولاه وأولى به فهذا علي مولاه وأولى به، اللّهم وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره. واخذل من خذله.. ثم قال: قم يا أبا بكر فبايع له بإمرة المؤمنين، فقام وبايع له. ثم قال: قم يا عمر فبايع له بإمرة المؤمنين، فقام فبايع له، ثم قال بعد ذلك لتمام التسعة رؤساء المهاجرين والأنصار، فبايعوا كلهم، فقام من بين جماعتهم عمر بن الخطاب فقال: بَخٍ بَخٍ يا ابن أبي طالب، أصحبتَ مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، ثم تفرّقوا عند ذلك وقد وُكِّدَتْ عليهم العهود والمواثيق. ثم إن قوماً من متمرديهم وجبابرتهم تواطأوا بينهم لئن كان بمحمد كائنة ليدفعن هذا الأمر من علي ولا يتركونه، فعرف الله ذلك من قِبَلهم، وكانوا يأتون رسول الله ويقولون:

[1] نقلا عن: التفسير والمفسرون: مرجع سابق، ج2/ص60-62.

لقد أقمتَ علينا أحب خلق الله إلى الله وإليك وإلينا فكفيتنا مؤنة الظلمة لنا والمتجبرين في سياستنا، وعلم الله من قلوبهم خلاف ذلك من مواطأة بعضهم لبعض أنهم على العداوة مقيمون، ولدفع الأمر عن مستحقه مؤثرون، فأخبر الله عَزَّ وجَلَّ محمداً عنهم فقال: يا محمد {وَمِنَ الناس مَن يَقُولُ آمَنَّا بالله} الذى أمرك بنصب علي إماماً وسايساً لأُمتك ومدبراً، {وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ} بذلك، ولكنهم يتواطأون على إهلاكك وإهلاكه، يوطّنون أنفسهم على التمرد على علي إن كانت بك كائنة "[1].

ويقيّم الدكتور الذهبي هذا التفسير بعدما ساق أمثلة كثيرة منه قائلا: " وهكذا نجد هذا التفسير يسير مع الهوى الشيعي، سيراً فيه كثير من التطرف والغلو والخروج عن دائرة المعقول المقبول. وإذا كان هذا التفسير من عمل الحسن العسكري، الإمام المعصوم، الذى عنده علم القرآن كله، فتلك أكبر شهادة على أنه لا عصمة له ولا علم عنده، وكيف يصدر هذا التلاعب بنصوص القرآن من إمام له قيمته ومكانته. وإذا كان ما يذكره صاحب أعيان الشيعة من علمه وصلاحه أمراً حقيقياً، فالظن بهذا الكتاب أن يكون منسوباً إلى هذا الإمام زوراً وبهتاناً، وهذا ما أُرجحه وأختاره، لأني لم أعثر على نقل صحيح يدل على غلو الرجل وتطرفه في التشيع كما فعل غيره "[2].

3- نماذج من تفسير مجمع البيان للطبرسي (ت538هـ):

- منهج الطبرسي في تفسيره:

وضح الطبرسي منهجه العام في تفسيره فقال في خطبته: "وقدَّمتُ في مطلع كل سورة ذكر مكيّها ومدنيها، ثم ذكر الاختلاف في عدد آياتها، ثم ذكرت تلاوتها، ثم أُقدِّم في كل آية الاختلاف في القراءات، ثم أذكر العلل والاحتجاجات، ثم أذكر العربية واللُّغات، ثم أذكر الإعراب والمشكلات، ثم أذكر الأسباب والنزولات، ثم أذكر المعاني والأحكام والتأويلات، والقصص والجهات، ثم أذكر انتظام الآيات. على أني قد جمعت في عربيته كل غُرَّة لائحة، وفي إعرابه كل حُجَّة واضحة، وفي معانيه كل قول متين، وفى مشكلاته كل برهان مبين، فهو بحمد الله للأديب عمدة، وللنحويّ عُدَّة، وللمقرئ

---

[1] المرجع السابق: ج2/ص63-64.

[2] المرجع نفسه: ج2/ص73.

بصيرة، وللناسك ذخيرة، وللمتكلم حُجَّة، وللمحدِّث محجة، وللفقيه دلالة، وللواعظ آلة، وسميته (مجمع البيان لعلوم القرآن) "[1].

– إيراده لمقدمات متعلقة بعلوم القرآن[2].

ثم استطرد إلى ذكر مقدمات تتعلق ببعض علوم القرآن فقال: "وقبل أن نشرع في تفسير السور والآيات، فنحن نُصدِّر الكتاب بذكر مقدمات لا بد من معرفتها، لمن أراد الخوض في علومه تجمعها فنون سبعة:

جعل الفن الأول منها: في أعداد آي القرآن والفائدة من معرفتها.

والفن الثاني: في ذكر أسامي القرَّاء المشهورين في الأمصار ورواتهم.

والفن الثالث: في ذكر التفسير والتأويل والمعنى، والتوفيق بين ما ورد من الآيات والآثار من النهي عن التفسير بالرأي وإباحته.

والفن الرابع: في ذكر أسامي القرآن ومعانيها.

والفن الخامس: في أشياء من علوم القرآن يحال في شرحها وبسط الكلام فيها على المواضع المختصة بها والكتب المؤلَّفة فيها كإعجاز القرآن، والكلام عن زيادة القرآن ونقصانه.

وهنا يقول: "فأما الزيادة فيه فمُجْمَع على بطلانه، وأما النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أن في القرآن تغييراً ونقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه، وهو الذى نصره المرتضى قدَّس الله روحه ".

ثم ذكر من جملة العلوم التي يحال في شرحها وبسط الكلام فيها على الكتب المؤلَّفة فيها الكلام في النسخ والناسخ والمنسوخ وغير ذلك من العلوم المتعلقة بالقرآن وليست داخلة في التفسير.

والفن السادس: في ذكر بعض ما جاء من الأخبار المشهورة في فضل القرآن وأهله.

والفن السابع: في ذكر ما يُستحَب للقارئ من تحسين اللفظ وتزيين الصوت بقراءة القرآن.

– أمثلة من تعصب الطبرسي لمذهبه وعقيدته:

---

[1] التفسير والمفسرون: ج2/ص77.

[2] نقلا عن التفسير والمفسرون: المرجع نفسه، ج2/ص77-78.

- **إمامة علي ﷺ.**

لما كان الطبرسى يدين بإمامة علي ﷺ، ويرى أنه خليفة النبي ﷺ بلا فصل، فإنَّا نراه يحاول بكل جهوده أن يثبت إمامته وولايته من القرآن فنراه عند تفسيره لقوله تعالى في الآية [55] من سورة المائدة: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ الله وَرَسُولُهُ والذين آمَنُواْ الذين يُقِيمُونَ الصلاة وَيُؤْتُونَ الزكاة وَهُمْ رَاكِعُونَ} يبذل مجهوداً كبيراً لاستخلاص وجوب إمامة علي ﷺ من هذه الآية، حيث قال: " وهذه الآية من أوضح الدلالة على صحة إمامة علي بعد النبي ﷺ بلا فصل. والوجه فيه: أنه إذا ثبت أن لفظة: {وَلِيُّكُمُ} في الآية تفيد مَن هو أولى بتدبير أموركم ويجب طاعته عليكم، وثبت أن المراد بـ {الذين آمَنُواْ} علي، ثبت النص عليه بالإمامة ووضح. والذي يدل على الأول هو الرجوع إلى اللُّغة. فمن تأملها علم أن القوم نَصُّوا على ذلك، وقد ذكرنا قول أهل اللُّغة فيه قبل فلا وجه لإعادته. وإن الذي يدل على أنها في الآية تفيد ذلك دون غيره، أن لفظة {إِنَّمَا} على ما تقدم ذكره تفيد التخصيص ونفي الحكم عمن عدا المذكور، كما يقولون: إنما الفصاحة للجاهلية، ويعنون نفي الفصاحة عن غيرهم. وإذا تقرر هذا لم يجز حمل لفظة "الولي" على الموالاة في الدين والمحبة؛ لأنه لا تخصيص في هذا المعنى لمؤمن دون مؤمن آخر، والمؤمنون كلهم مشتركون في هذا المعنى، كما قال سبحانه: {والمؤمنون والمؤمنات بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ} [التوبة: 71] .. وإذا لم يجز حمله على ذلك لم يبقَ إلا الوجه الآخر وهو التحقيق بالأمور، وما يقتضي فرض الطاعة على الجمهور؛ لأنه لا محتمل للفظ إلا الوجهان، فإذا بطل أحدهما ثبت الآخر، والذي يدل على أن المعنى بـ {الذين آمَنُواْ} هو علي؛ الرواية الواردة من طريق العامة والخاصة بنزول الآية فيه لما تصدَّق بخاتمه في حال الركوع، وقد تقدم ذكرها، وأيضاً فإن كل مَن قال: إن المراد بلفظة "الولي" ما يرجع إلى فرض الطاعة والإمامة، ذهب إلى أنه هو المقصود بالآية والمنفرد، ولا أحد من الأمة يذهب إلى أن هذه اللفظة تقتضى ما ذكرنا ويذهب إلى أن المعنيّ بها سواه، وليس لأحد أن يقول: إن لفظة {الذين آمَنُواْ} لفظ جمع فلا يجوز أن يتوجه إليه على الانفراد، وذلك أن أهل اللغة قد يُعبِّرون بلفظ الجمع عن الواحد على سبيل التفخيم والتعظيم، وذلك أشهر في كلامهم من أن يحتاج إلى الاستدلال عليه. وليس لهم أن يقولوا: إن المراد بقوله: {وَهُمْ رَاكِعُونَ} أن هذه شيمتهم وعادتهم ولا يكون حالاً لإيتاء الزكاة، وذلك لأن قوله: {يُقِيمُونَ الصلاة} ، قد دخل فيه الركوع، فلو لم يحمل قوله: {وَهُمْ رَاكِعُونَ} على أنه حال من {وَيُؤْتُونَ الزكاة} ، وحملناه على مَن صفتهم الركوع،

كان ذلك كالتكرار غير المفيد، والتأويل المفيد أولى من البعيد الذي لا يفيد. ووجه آخر في الدلالة على أن الولاية في الآية مختصة، أنه قال: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ الله} فخاطب جميع المؤمنين، ودخل في الخطاب النبي ﷺ وغيره، ثم قال: {وَرَسُولُهُ} فأخرج النبي ﷺ من جملتهم لكونهم مضافين إلى ولايته، ثم قال: {والذين آمَنُواْ} فوجب أن يكون الذي خوطب بالآية هو الذى جُعِلَت له الولاية وإلا أدى إلى أن يكون المضاف هو المضاف إليه بعينه، وإلى أن يكون كل واحد من المؤمنين ولي نفسه، وذلك محال. واستيفاء الكلام في هذا الباب يطول به الكتاب ومَن أراده فليطلبه من مظانه "[1].

قال الدكتور الذهبي معلقا على الطبرسي: " لا شك أن هذه محاولة فاشلة، فإن حديث تصدق علي بخاتمه في الصلاة – وهو محور الكلام – حديث موضوع لا أصل له، وقد تكفل العلامة ابن تيمية بالرد على هذه الدعوى في كتابه منهاج السُّنَّة "[2].

- **عصمة الأئمة:**

ولما كان الطبرسى يدين بعصمة الأئمة فإنَّا نراه عند تفسيره لقوله تعالى في الآية [33] من سورة الأحزاب: {إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرجس أَهْلَ البيت وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} .. يحاول محاولة جدية أن يقصر أهل البيت على النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين، ليصل من وراء ذلك إلى أن الأئمة معصومون من جميع القبائح كالأنبياء سواء بسواء، فلهذا يقول بعد ما سرد من الروايات ما يشهد له بالقصر الذي يريده: " ... والروايات في هذا كثيرة من طريق العامة والخاصة، لو تصدينا لإيرادها لطال الكلام، وفيما أوردناه كفاية.. واستدلت الشيعة على اختصاص الآية بهؤلاء الخمسة بأن قالوا: إن لفظة {إِنَّمَا} محققة لما أُثبت بعدها، نافية لما لم يثبت، فإن قول القائل: إنما لك عندي درهم، وإنما في الدار زيد، يقتضي أنه ليس عندي سوى الدرهم، وليس في الدار سوى زيد. وإذا تقرر هذا فلا تخلو الإرادة في الآية أن تكون هي الإرادة المحضة، أو الإرادة التي يتبعها التطهير وإذهاب الرجس، ولا يجوز الوجه الأول؛ لأن الله تعالى قد أراد من كل مُكلَّف هذه الإرادة المطلقة، فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق؛ ولأن هذا القول يقتضي المدح والتعظيم لهم بغير شك

---

[1] المرجع السابق: ج2/ص78-81.

[2] المرجع نفسه: ج2/ص82.

وشبهة، ولا مدح في الإرادة المجردة، فثبت الوجه الثاني، وفي ثبوته ثبوت عصمة الأئمة بالآية من جميع القبائح. وقد علمنا أن مَن عدا مَن ذكرنا من أهل البيت غير مقطوع على عصمته، فثبت أن الآية مختصة بهم لبطلان تعلقها بغيرهم. ومتى قيل: إن صدر الآية وما بعدها في الأزواج، فالقول فيه: إن هذا لا ينكره مَن عرف عادة الفصحاء في كلامهم، فإنهم يذهبون من خطاب إلى غيره ويعودون إليه، والقرآن من ذلك مملوء وكذلك كلام العرب وأشعارهم"[1].

قال الدكتور الذهبي معلقا: " فأنت ترى أن الطبرسي يحاول من وراء هذا الجدل العنيف أن يثبت عصمة الأئمة، وهي عقيدة فاسدة يؤمن بها هو ومَن على شاكلته من الإمامية الاثنا عشرية، ولا شك أن هذا تحكم في كلام الله تعالى دفعه إليه الهوى وحمله عليه تأثير المذهب "[2].

- **عقيدته في المهدي المنتظر:**

والطبرسي يدين بالمهدي، ويعتقد أنه اختفى وسيرجع في آخر الزمان، وقد تأثر بهذه العقيدة، فنجده عند تفسيره لقوله تعالى في الآية [3] من سورة البقرة: {الذين يُؤْمِنُونَ بالغيب وَيُقِيمُونَ الصلاة وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} يذكر الأقوال الواردة في المعنى المراد بـ "الغيب"، وينقل في جملة ما ينقل من الأقوال: أن ابن مسعود وجماعة من الصحابة فسَّروا الغيب بما غاب عن العباد علمه. ثم يقول: "وهذا أولى لعمومه، ويدخل فيه ما رواه أصحابنا من زمان غيبة المهدي ووقت خروجه "[3].

- **نصرته لفقه الإمامية:**

فمثلاً نجد الإمامية الاثنا عشرية يقولون بجواز نكاح المتعة، ولا يعترفون بنسخه كغيرهم من المسلمين، فلهذا حاول الطبرسي – وهو واحد منهم – أن يأخذ هذا المذهب بدليله من كتاب الله تعالى؛ فعندما فسَّر قوله تعالى في الآية [24] من سورة النساء: {والمحصنات مِنَ النسآء إِلاَّ مَا مَلَكْتَ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ الله عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُمْ مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا استمتعتم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً} ... الآية، يقول ما نصه: {فَمَا استمتعتم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً} ... الآية، قيل: المراد بالاستمتاع هنا درك البغية والمباشرة وقضاء الوطر من اللَّذة.. عن

---

[1] المرجع السابق: ج2/ص82.

[2] المرجع نفسه: ج2/ص82.

[3] المرجع نفسه: ج2/ص83.

الحسن ومجاهد وابن زيد. فمعناه على هذا: فما استمتعتم وتلذذتم من النساء بالنكاح فآتوهن مهورهن. وقيل: المراد نكاح المتعة، وهو النكاح المنعقد بمهر معيَّن إلى أجل معلوم.. عن ابن عباس والسدى سعيد وجماعة من التابعين، وهو مذهب أصحابنا الإمامية، وهو الواضح؛ لأن أصل الاستمتاع والتمتع وإن كان في الأصل واقعاً على الانتفاع والالتذاذ فقد صار بعرف الشرع مخصوصاً بهذا العقد، ولا سيما إذا أضيف إلى النساء، فعلى هذا يكون معناه: فمتى عقدتم عليهن هذا العقد المسمى مُتعة فآتوهن أُجورهن، ويدل على ذلك أن الله علَّق وجوب إعطاء المهر بالاستمتاع وذلك يقتضي أن يكون معناه هذا العقد المخصوص دون الجِماع والاستلذاذ؛ لأن المهر لا يجب إلا به. هذا وقد روي عن جماعة من الصحابة منهم أُبَيّ بن كعب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود: أنهم قرأوا: (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مُسمَّى فآتوهن أُجورهن) وفى ذلك تصريح بأن المراد به عقد المتعة... ومما يمكن التعلق به في هذه المسألة، الرواية المشهورة عن عمر بن الخطاب أنه قال: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ حلالاً، أنا أنهى عنهما وأُعاقب عليهما، فأخبر بأن هذه المتعة كانت على عهد رسول الله وأضاف النهي عنها إلى نفسه بضرب من الرأي، فلو كان النبي ﷺ نسخها أو نهى عنها أو أباحها في وقت مخصوص دون غيره لأضاف التحريم إليه دون نفسه. وأيضاً فإنه قرن بين متعة الحج ومتعة النساء في النهي، ولا خلاف في أن متعة الحج غير منسوخة ولا محرَّمة، فوجب أن يكون حكم متعة النساء حكمها. وقوله: {وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِن بَعْدِ الفريضة} .. من قال إن المراد بالاستمتاع الانتفاع والجِماع، قال: المراد به: ولا حرج ولا إثم عليكم فيما تراضيتم به من زيادة مهر ونقصانه، أو حط، أو إبراء، أو تأخير. وقال السدى: معناه: لا جُناح عليكم فيما تراضيتم به من استئناف عقد آخر بعد انقضاء مدة الأجل المضروب في عقد المتعة، يزيدها الرجل في الآخر وتزيده في المدة، وهذا قول الإمامية وتظاهرت به الروايات عن أئمتهم.. "[1].

– القيمة العلمية لتفسير الطبرسي.

قام الدكتور حسين الذهبي بتقييم هذا التفسير وإنصاف صاحبه فقال: " والحق أن تفسير الطبرسى – بصرف النظر عما فيه من نزعات تشيّعية وآراء اعتزالية – كتاب عظيم في بابه، يدل على تبحر

[1] المرجع السابق: ج2/ص84-86.

صاحبه في فنون مختلفة من العلم والمعرفة. والكتاب يجري على الطريقة التي أوضحها لنا صاحبه، في تناسق تام وترتيب جميل، وهو يجيد في كل ناحية من النواحي التي يتكلم عنها، فإذا تكلم عن القراءات ووجوهها أجاد، وإذا تكلم عن المعاني اللُّغوية للمفردات أجاد، وإذا تكلم عن وجوه الإعراب أجاد، وإذا شرح المعنى الإجمالي أوضح المراد، وإذا تكلم عن أسباب النزول وشرح القصص استوفى الأقوال وأفاض، وإذا تكلم عن الأحكام تعرَّض لمذاهب الفقهاء، وجهر بمذهبه ونصره إن كانت هناك مخالفة منه للفقهاء، وإذا ربط بين الآيات آخى بين الجُمَل، وأوضح لنا عن حُسْن السبك وجمال النظم، وإذا عرض لمشكلات القرآن أذهب الإشكال وأراح البال. وهو ينقل أقوال مَن تقدَّمه من المفسِّرين معزوة لأصحابها، ويرجح ويوجه ما يختار منها، وإذا كان لنا بعض المآخذ عليه فهو تشيعه لمذهبه وانتصاره له، وحمله لكتاب الله على ما يتفق وعقيدته، وتنزيله لآيات الأحكام على ما يتناسب مع الاجتهادات التي خالف فيها هو ومَن على شاكلته، وروايته لكثير من الأحاديث الموضوعة. غير أنه – والحق يقال – ليس مغالياً في تشيعه، ولا متطرفاً في عقيدته، كما هو شأن كثير غيره من علماء الإمامية الاثنا عشرية "[1].

4- تفسير (البرهان في تفسير القرآن) لهاشم البحراني:

إذا كان تفسير مجمع البيان للطبرسي من التفاسير المتقدمة للشيعة الإمامية، وهو من أجود تفاسيرهم وأكثرها اعتدالا – على ما فيه من تشيع – فإن تفسير البرهان للبحراني من التفاسير المتأخرة للشيعة الإمامية.

- **التعريف بالبحراني:**

هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسني البحراني، ولد بالبحرين الإمارة العربية المعروفة (والبحرين من الدول التي بها عددا معتبرا من الشيعة) وتوفي بها سنة 1107هـ، وله قرابة الأربعين مؤلفا في التفسير والفقه والتاريخ على أساس مذهب الإمامية.

- **منهجه العام في التفسير:**

[1] المرجع السابق: ج2/ص78.

قدم البحراني لتفسيره البرهان بمقدمة ذكر فيها قصة تأليفه، وأهداه للسلطان الشيعي شاه بهادرخان وتحدث عن تفاسير الشيعة وعن الرواية عنهم، ومما قاله في خطبة تفسيره يرسم منهجه العام: " ... يقول مؤلفه فقيرا إلى الله الغني، عبده هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسني البحراني: إني جعلت قبل المقصود مقدمة فيها أبواب تشتمل في الكتاب، وسميّته (البرهان في تفسير القرآن) قد اشتمل على كثير من أهل البيت عليهم السلام، الذين نزل القرآن في منازلهم، فمرجع تنزيله وتأويله إليهم... وكتابي هذا يطلعك على كثير من أسرار علم القرآن، ويرشدك إلى ما جهله متعاطي التفسير من أهل الزمان، ويوضح لك ما ذكره من العلوم الشرعية والقصص والأخبار النبوية وفضائل أهل البيت الإمامية، إذ صار كتابا شافيا ودستورا وافيا ومرجعا كافيا، حجة في الزمان وعينا من الأعيان، إذ هو مأخوذ من تأويل أهل التنزيل والتأويل، الذين نزل الوحي في دارهم عن جبريل عن الجليل، أهل البيت والرحمة، ومنبع العلم والحكمة..."[1].

- **كلمة حق في تفسير البحراني:**

إجمالا هو تفسير بالرواية عن أهل البيت وأئمة الشيعة الإمامية، وهو متحامل عن أهل السنة، ويعتمد عن الروايات الموضوعة والباطلة.

وقد عرض الدكتور الذهبي نماذج من تفسير البحراني، يظهر منها اعتماده على الروايات الموضوعة المنسوبة لآل البيت، وتعصبه للشيعة الإمامية، وتحريفه لمعاني الآيات لتشهد لمذهب الشيعة، فهو تفسير مذهبي منحاز محرّف لمعاني القرآن[2].

---

[1] نقلا عن: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط: 3، دار القلم، دمشق، 1439هـ-2008م، ص521-522.

[2] نقلا عن: تعريف الدارسين: ص522.

المحور الرابع

التفسير عند الفلاسفة

المحاضرة: رقم 08

الفلاسفة وبيان عنايتهم بالتفسير

1/ نشأة الفلسفة الإسلامية:

يرجع ظهور الفلسفة الإسلامية بالأساس إلى ترجمة تراث الأمم السابقة إلى العربية بعد زمن الفتوحات الإسلامية، " تُرجِمَت كتب الفلسفة من اللُّغات المختلفة إلى اللّغة العربية، ويرجع الفضل الأكبر في هذا العمل إلى العباسيين وحدهم؛ إذ أنهم نظموا الترجمة الإسلامية وشجعوها. فبدأ المنصور هذه الحركة المباركة، وتعهدها أبناؤه وأحفاده من بعده، وبلغ بها المأمون – خاصة – القمة، وأضحت بغداد كعبة علمية يحجّ إليها الطُلاب من كل مكان. ولكي يحقق العباسيون غايتهم استخدموا طائفة من الفُرس والهنود والصابئة والمسيحيين، الذين كانوا على اتصال وثيق بالدراسات القديمة، فنقلوا إلى اللُّغة العربية كتب فلاسفة اليونان، والهند، والفُرس، وغيرهم، ثم أُذيعت هذه الكتب بين المسلمين "[1].

وبلغت حركة الترجمة أوجّها في مطلع القرن الثالث الهجري زمن خلافة المأمون ومن بعده المعتصم[2]، وكان هذا نتيجة لولوع المأمون بكتب الحكماء والفلاسفة؛ حتى إنه جعل أهل الحكمة والفلسفة من حاشيته والمقربين منه[3].

2/ علاقة الفلسفة بتفسير القرآن:

بعد ترجمة كتب الحكمة من لغات الحضارات القديمة إلى اللغة العربية، وإقبال النخب والعامة على قراءتها والافتتان بها مع مباركة السلطان لكل هذا، بدأ الاختلاف بين العلماء إزاء هذا التراث الدخيل عن الإسلام والحضارة العربية، وفي هذا يقول الدكتور محمد حسين الذهبي موضحا ذلك: " قرأ بعض المسلمين هذه الكتب الفلسفية، فلم يرقهم أكثر ما فيها من نظريات وأبحاث؛ لأنهم وجدوها تتعارض

---

[1] ينظر: التفسير والمفسرون: ج2/ص308.

[2] في زمن المأمون ظهرت فتنة القول بخلق القرآن، نتيجة اقتفائه آثار المعتزلة، بل وألزم الناس باعتقادها، وأوصى المعتصم بالسير على هذا المنوال، وكان له ما أراد؛ إذ فتن المعتصم إمام الإسلام والمسلمين أحمد بن حنبل، والقصة مدونة في كتب التاريخ والتراجم، ينظر: العصر الذهبي للدولة العباسية: محمد السيد الوكيل، ط:1، دار القلم، دمشق، 1418هـ-1998م، ص340.

[3] ينظر: المرجع نفسه: ص339.

مع الدين، ولا تتفق معه بحال من الأحوال، فكرَّسوا حياتهم للرد عليها، وتنفير الناس منها، وكان على رأس هؤلاء: الغزالي، والفخر الرازي، الذى تعرَّض في تفسيره لنظريات الفلاسفة التي تبدو في نظره متعارضة مع الدين، ومع القرآن على الأخص، فردَّها وأبطلها بمقدار ما أسعفته الحُجَّة، وانقاد له الدليل، وقرأ بعض المسلمين هذه الكتب فأعجبوا بها إلى حد كبير، رغم ما فيها من نظريات تبدو متعارضة مع نصوص الشرع القويم، وتعاليمه التي لا يلحقها الشك، ولا تحوم حولها الشبهة.. نعم أعجبوا بها رغم هذا؛ لأنهم وجدوا أن في مقدورهم أن يوافّقوا بين الحكمة والعقيدة، أو بين الفلسفة والدين، وأن يبينوا للناس أن الوحي لا يناقض العقل في شيء، وأن العقيدة إذا استنارت بضوء الحكمة تمكنت من النفوس، وثبتت أمام الخصوم.. رأوا أن هذا في مقدورهم، فبذلوا كل ما يستطيعون من حلول ليصلوا الفلسفة بالدين، ويُؤاخوا بينهما، حتى يصبح الدين فلسفة، والفلسفة ديناً، وفعلاً وصل فلاسفة المسلمين إلى هذا التوفيق، ولكنه توفيق إن أرضى بعض المسلمين فقد أغضب الكثير منهم؛ ذلك لأنهم لم يصلوا في توفيقهم إلا إلى حلول وسطى، صوَّروا فيها التعاليم الدينية تصويراً يبعد كثيراً عن الصور الثابتة المأثورة، ومثل هذه الحلول لا تصلح للتوفيق بين جانبين متقابلين وطرفين متنافرين، ولذلك لم يجد الغزالي ومَن لَفَّ لفه صعوبة في الرد على هؤلاء الفلاسفة الموفقين، وإبطال محاولاتهم، التي ظنوا أنهم أرضوا بها رجال الدين الواقفين عند حدوده وتعاليمه "[1].

ويتكلم الشيخ عبد العظيم الزرقاني عن علاقة الفلسفة بتفسير القرآن، ويرجعها إلى محاولة فلاسفة المسلمين التوفيق بين نصوص الوحي وآراء الفلاسفة فيقول: " تُرجمت علوم هذه الأمم الداخلة في الإسلام وهُذبت ونُقحت وذاعت ثقافتها بين المسلمين على اختلاف أجناسهم فكان من مقتضيات الحكمة التوفيق بينها وبين القرآن من ناحية وفهم القرآن في ضوئها من ناحية أخرى... بهذه الأسباب بدأت العلوم الأدبية والعلوم الكونية تتدخل في تفسير القرآن وتمتزج به على اعتبار أن هدايته وإعجازه لا يفهمان فهما صحيحا كاملا بالنسبة إليهم إلا عن طريق هذه العلوم والمعارف "[2].

3/ أصول الفلاسفة في التعامل مع الآيات:

---

[1] ينظر: التفسير والمفسرون: ج2/ص308-309.

[2] مناهل العرفان: مصدر سابق، ج2/ص98.

- التأويل النصوص الدينية والحقائق الشرعية، بما يتفق مع الآراء الفلسفية، ومعنى هذا إخضاع تلك النصوص والحقائق إلى هذه الآراء حتى تسايرهم وتتمشى مع أفكارهم.
- شرح النصوص الدينية والحقائق الشرعية بالآراء والنظريات الفلسفية، ومعنى هذا أن تطغى الفلسفة على الدين وتتحكم في نصوصه، وهذه الحيثية أخطر من الأولى، وأكثر شراً منها على الدين.
- مسايرة أفكار الناس ومعارفهم وتفسير القرآن لهم تفسيرا يشبع حاجتهم من الثقافة الكونية.
- استمالة غير المسلمين إلى الإسلام من هذا الطريق العلمي الذي يخضعون له ويتسع لثقافتهم.
- إدراك وجوه جديدة للإعجاز في القرآن من ناحية ما يحويه أو يرمز إليه من علوم الكون والتأمل في عيون الحِكم.
- امتلاء النفس إيمانا بعظمة الله وقدرته حينما يقف الإنسان في تفسير كلام الله على خواص الأشياء ودقائق المخلوقات حسب ما تصورها علوم الكون والحكمة.

4/ أشهر الفلاسفة المهتمين بالتفسير.

بدأ اهتمام الفلاسفة بتعاطي تفسير الآيات القرآنية مبكرا، فقد لاحت بذور هذا الاهتمام في مطلع القرن الرابع الهجري، فألف الفارابي (ت339هـ) كتابه (فصوص الحكم) وضمّنه آرائه الفلسفية في تفسير بعض الآيات، وفي رسائل إخوان الصفا إشارات فلسفية في تفسير بعض الآيات القرآنية، ثم جاء ابن سينا (ت428هـ) وألف عديد الكتب الفلسفية كالشفاء والإشارات والنجاة والقانون، وكلها مؤلفات على أصول الفلاسفة في تفسير النصوص الشرعية[1].

5/ ضوابط إعمال الفكر والفلسفة في حقل التفسير[2]:

- ألا تطغى تلك المباحث عن المقصود الأول من القرآن وهو الهداية والإعجاز، أما إن أسرف المفسر واشتغل بتفريعات العلوم الأدبية ونظريات الفنون الكونية فقد انعكست الآية ولم يعد التفسير تفسيرا بل يكون أشبه بكتب العلوم والفنون منه بكتب التفسير. كما قال بعض العلماء

---

[1] ينظر: التفسير والمفسرون: ج2/ص313-314.

[2] هذه الضوابط مستفادة من الشيخ عبد العظيم الزرقاني رحمه الله في معرض كلامه عن كيفية استفادة المفسر من العلوم الكونية خدمة للغرض من التفسير وإنزال القرآن. ينظر: مناهل العرفان: ج2/ص101-102.

الظرفاء[1] يصف تفسيرا مشهورا بالاستطراد والتطويل والضرب في كثير من العلوم قال: لقد حوى هذا التفسير كل شيء إلا التفسير.

- أن يُلاحظ في امتزاج التفسير بتلك العلوم ما يلائم العصر ويوائم الوسط؛ لأن تلك الأبحاث الكونية والأدبية قد تكون ضرورية ومفيدة أيما فائدة إذا شُرح بها القرآن في عصر من عصور الثقافة أو لجمهور من المفتونين بالمادة وعلوم الكون أو لطائفة من المتأدبين المشغوفين بفنون البلاغة في القول، بينما تكون هذه الأبحاث نفسها نكبة وفتنة إذا شُرح بها القرآن في عصر من عصور الجهالة أو لفئة أخرى من فئات الناس، وما من أحد يُخاطب قوما بغير ما تسعه عقولهم إلا كان فتنة عليهم.
- أن تُذكر تلك الأبحاث على وجه يدفع المسلمين إلى النهضة ويلفتهم إلى جلال القرآن ويحركهم إلى الانتفاع بقوى هذا الكون العظيم الذي سخره الله لنا انتفاعا يُعيد لأمة الإسلام نهضتها ومجدها الأثيل.

[1] وهي عبارة لشيخ الاسلام ابن تيمية، يصف فيها تفسير الفخر الرازي.

المحاضرة: رقم 09

نماذج من تفسيرات الفلاسفة

1/ أمثلة من آراء الفارابي التفسيرية.

نمثل لتفسيره لبعض الآيات والحقائق التي جاء بها القرآن تفسيراً فلسفياً بحتاً[1]، فمن ذلك أنه يُفسِّر الأوَّلية والآخرية الواردة في قوله تعالى في الآية [3] من سورة الحديد: {هُوَ الأول والآخر} تفسيراً أفلوطونياً مبنياً على القول بِقدَم العالَم فيقول: إنه الأول من جهة أنه منه ويصدر عنه كل موجود لغيره، وهو أول من جهة أنه بالوجود لغاية قُربه منه...هو الآخر: لأن الأشياء إذا لوحظت ونُسِبَتْ إليه أسبابها ومباديها وقف عنده المنسوب، فهو آخر لأنه الغاية الحقيقية في كل طلب، فالغاية مثل السعادة في قولك: لِمَ شربت الماء؟ فتقول: لتغيير المزاج، فيقال: ولِمَ أردت أن يتغير المزاج؟ فتقول: للصحة، فيقال: لِمَ طلبت الصحة؟ فتقول: للسعادة والخير، ثم لا يورد عليه سؤال يجب أن يُجاب عنه؛ لأن السعادة والخير تُطلب لذاتها لا لغيرها.. فهو المعشوق الأول، فلذلك هو آخر كل غاية، أول في الفكرة آخر في الحصول، هو آخر من جهة أن كل زمان يتأخر عنه، ولا يوجد زمان متأخر عن الحق..

ويشرح الظاهر والباطن الوارد في قوله تعالى في الآية [3] من سورة الحديد أيضاً {.. والظاهر والباطن} .. فيقول: لا وجود أكمل من وجوده، فلا خفاء فيه من نقص الوجود، فهو في ذاته ظاهر، ولشدة ظهوره باطن، وبه يظهر كل ظاهر كالشمس تُظهر كل خفي وتستبطن لا عن خفاء.

ويختم تفسير هذه الآية بهذا المعنى الإجمالي فيقول: "هو باطن لأنه شديد الظهور، غلب ظهوره على الإدراك فخفيَ، وهو ظاهر من حيث أن الآثار تُنسب إلى صفاته، وتجب عن ذاته فتصدق بها ".

كما يشرح الملائكة بأنها "صورة علمية، جواهرها علوم إبداعية قائمة بذواتها، لتلحظ الأمر الأعلى فينطبع في هويتها ما تلحظ، وهي مطلقة، لكن الروح القدسية تخاطبها في اليقظة، والروح البَشرية تعاشرها في النوم".

---

[1] هذه الأمثلة مستفادة من الشيخ حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون، ينظر: المصدر السابق: ج2/ص310-311.

ويُفسِّر الوحي بقوله: " والوحي لوح من مراد الملك للروح الإنسانية بلا واسطة، وذلك هو الكلام الحقيقي؛ فإن الكلام إنما يُراد به تصوير ما يتضمنه باطن المخاطِب في باطن المخاطَب ليصير مثله، فإذا عجز المخاطِب عن مس باطن المخاطَب بباطنه مسَّ الخاتم للشمع فيجعله مثل نفسه، اتخذ فيما بين الباطنين سفيراً من الظاهرين، فتكلم بالصوت أو كتب أو أشار. وإذا كان المخاطَب لا حجاب بينه وبين الروح اطلع عليه اطلاع الشمس على الماء الصافي فانتقش منه، لكن المنتقشَ في الروح من شأنه أن يسيح إلى الحسن الباطن إذا كان قوياً، فينطبع في القوة المذكورة فيُشاهَد، فيكون الموحى إليه يتصل بالملك باطنه، ويتلقى وحيه الكلي بباطنه".

2/ أمثلة من آراء إخوان الصفا التفسيرية[1].

فمن ذلك أنهم يشرحون الجنَّة والنار، بما يُفهم منه أن الجنَّة هي عالَم الأفلاك، وأن النار هي عالَم ما تحت فلك القمر، وهو عالَم الدنيا، ففي حديثهم عن تجرد النفس واشتياقها إلى عالَم الأفلاك، يقررون أنه لا يمكن الصعود إلى ما هناك بهذا الجسد الثقيل الكثيف، ويقولون: "إن النفس إذا فارقت هذه الجنَّة، ولم يعقها شيء من سوء أفعالها، أو فساد آرائها، وتراكم جهالاتها أو رداءة أخلاقها، فهي هناك في عالَم الفلك في أقل من طرفة عين بلا زمان؛ لأن كونها حيث همتها أو محبوبها كما تكون نفس العاشق حيث معشوقه، فإذا كان عشقها هو الكون مع هذا الجسد، ومعشوقها هو الملذات المحسوسة المموّهة الجرمانية، وشهواتها هذه الزينات الجسمانية، فهي لا تبرح من ههنا ولا تشتاق الصعود إلى عالَم الأفلاك، ولا تُفتح لها أبواب السماء ولا تدل الجنَّة مع زمرة الملائكة، بل تبقى تحت فلك القمر، سائحة في قعر هذه الأجسام المستحيلة المتضادة، تارة من الكون إلى الفساد، وتارة من الفساد إلى الكون: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ العذاب} في الآية [56] من سورة النساء، {لابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَاباً} الآية [23] من سورة النبأ، ما دامت السموات والأرض، لا يذوقون فيها برد عالَم الأرواح الذى هو الروح والريحان، ولا يجدون لذة شراب الجنان المذكور في القرآن: {ونادى أَصْحَابُ النار أَصْحَابَ الجنة أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ المآء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ الله قالوا إِنَّ الله

[1] هذه النقول مستفادة من التفسير والمفسرون: مصدر سابق: ج2/ص311-312.

حَرَّمَهُمَا عَلَى الكافرين} – الآية [50] من سورة الأعراف – الظالمين لأنفسهم.. ويروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: "الجنَّة في السماء، والنار في الأرض".

ومن ذلك أنهم يُفسِّرون الملائكة بأنها كواكب الأفلاك فيقولون: " إن كواكب الفلك هم ملائكة الله وملوك سمواته.. خلقهم الله تعالى لعمارة عالمه، وتدبير خلائقه، وسياسة بريته، وهم خلفاء الله في أفلاكه، كما أن ملوك الأرض هم خلفاء الله في أرضه".

كذلك يرى إخوان الصفا " أن نفس المؤمن بعد مفارقة جسدها تصعد إلى ملكوت السماء وتدخل في زمرة الملائكة، وتحيا بروح القدس، وتسبح في فضاء الأفلاك. في فسحة السموات، فرِحة، مسرورة، منعمة، متلذذة، مكرَّمة، مغتبطة "، ويقولون إن ذلك هو معنى قول الله عَزَّ وجَلَّ في الآية العاشرة من سورة فاطر: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكلم الطيب والعمل الصالح يَرْفَعُهُ}.

كذلك يشرح إخوان الصفا الشياطين شرحاً فلسفياً بحتاً لا يتفق مع ما جاء به الدين فيقولون: " إن الله أشار إلى النفوس ووساوسها بقوله – في الآية [112] من سورة الأنعام: {شَيَاطِينَ الإنس والجن يُوحِي بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القول غُرُوراً} فشياطين الجن هي النفوس المفارقة الشريرة التي قد استجنّت عن إدراك الحواس. وشياطين الإنس هي النفوس المتجسدة المستأنسة بالأجساد. ثم يقولون: أمثال هذه النفوس التي ذكرناها – يعنون النفوس الخبيثة – هي شياطين بالقوة، فإذا فارقت أجسادها كانت شياطين بالفعل".

كلمة حق حول آراء إخوان الصفا التفسيرية:

إن إخوان الصفا يعتقدون أن القرآن ما هو إلا رموز للحقائق البعيدة عن أذهان العامة، ويقولون: إن النبي ﷺ يُخبر خواص أُمته بما جاء به واعتقده بالتصريح في السر والعلن، غير مرموز ولا مكتوم، ثم يشير إليها، ويرمز عنها عند العوام بالألفاظ المشتركة، والمعاني المحتملة للتأويل بما يعقلها الجمهور وتقبلها نفوسهم، وغير خافٍ أن هذا هو عين مذهب الباطنية القائل بأن ظواهر القرآن غير مرادة[1].

[1] ينظر: المصدر السابق: ح2/ص313.

3/ أمثلة من آراء ابن سينا التفسيرية.

مسلك ابن سينا في التفسير:

نظر ابن سينا إلى القرآن، ونظر إلى الفلسفة، فحكَّم النظريات الفلسفية في النصوص القرآنية، فشرحها شرحاً فلسفياً بحتاً، وكانت طريقته التي يسلكها في شرحه غالباً هي شرح الحقائق الدينية بالآراء الفلسفية، وذلك لأنه كان يعتقد أن القرآن ما هو إلا رموز رمز بها النبي ﷺ لحقائق تدق على أفهام العامة، عجزت أفهامهم عن إدراكها، فرمز إليها النبي بما يمكنهم أن يدركوه، وأخفى عنهم ما يعجز عن إدراكه عامة الناس إلا الخواص منهم، وهو يقول: إن المشترط على النبي أن يكون كلامه رمزاً، وألفاظه إيماءً، وكما يذكر أفلاطون في كتاب النواميس: إنَّ مَن لم يقف على معاني رموز الرسل لم ينل الملكوت الإلهي، وكذلك أجِلَّة فلاسفة يونان وأنبياؤهم كانوا يستعملون في كتبهم الرموز والإشارات، التي حشوْ فيها أسرارهم، كفيثاغورس وسقراط وأفلاطون..، وما كان يمكن النبي محمداً ﷺ أن يُوقف على العلم أعرابياً جافياً، ولا سيما البَشر كلهم؛ إذ كان مبعوثاً إليهم كلهم[1].

قال الدكتور حسين الذهبي رحمه الله: "وعلى هذا الأساس نظر ابن سينا إلى نصوص القرآن كرموز لا يَعرف حقيقتها إلا الخواص أمثاله، ففسَّرها تفسيراً حكَّم فيه ما لديه من نظريات فلسفية، فكان في عمله هذا فاشلاً، وبعيداً عن حقيقة الدين، وروح القرآن الكريم "[2].

أمثلة عن مسلك ابن سينا في التفسير[3]:

يُفسِّر ابن سينا أبواب الجنَّة الثمانية، وأبواب النار السبعة تفسيراً فلسفياً صرفاً، فيقول: "وأما ما بلَّغ النبي محمد عن ربه عَزَّ وجَلَّ أن للنار سبعة أبواب، وللجنة ثمانية أبواب، فإذ قد عُلِم أن الأشياء المدرَكة إما مُدركة للجزئيات كالحواس الظاهرة وهي خمسة، وإدراكها الصور مع المواد، أو مُدرَكة متصورة بغير مواد كخزانة الحواس المسماة بالخيال، وقوة حاكمة عليها حكماً غير واجب وهو الوهم، وقوة حاكمة واجباً وهو العقل، فذلك ثمانية. فإذا اجتمعت الثمانية جملة أدت إلى السعادة السرمدية،

---

[1] المصدر السابق: ج2/ص314.

[2] المصدر نفسه: ح2/ص315.

[3] ينظر: المصدر نفسه: ج2/316-317

والدخول في الجنَّة وإن حصل سبعة منها لا تتسم إلا بالثامن أدت إلى الشقاوة السرمدية. والمستعمل في اللُّغات أن الشيء المؤدي إلى الشيء يسمى باباً، فالسبعة المؤدية إلى النار سميت أبواباً لها، والثمانية المؤدية إلى الجنة سميت أبواباً لها".

وفي سورة الناس يُفسِّر قوله تعالى في الآية [4] : {مِن شَرِّ الوسواس الخناس} .. فيقول: " هذه القوة التي توقع الوسوسة هي القوة المتخيلة بحسب صيرورتها مستعملة للنفس الحيوانية، ثم إن حركتها تكون بالعكس، فإن النفس وجهها إلى المبادئ المفارقة، فالقوة المتخيلة إذا جذبتها إلى الاشتغال بالمادة وعلائقها فتلك القوة تخنس – أي تتحرك – بالعكس وتجذب النفس الإنسانية إلى العكس، فلهذا سمى خَنَّاساً".

ويُفسِّر قوله تعالى في الآية [6] من سورة الناس أيضاً: {مِنَ الجنة والناس} .. فيقول: "الجن هو الاستتار، والإنس هو الاستئناس، فالأُمور المستترة هي الحواس الباطنة، والمستأنسة هي الحواس الظاهرة".

المحور الخامس

التفسير عند الصوفية

المحاضرة: رقم 10

التعريف بالصوفية وبيان عنايتهم بالتفسير

1/ معنى التصوف:

لغة: وقع الاختلاف في أصل هذه الكلمة (تصوف) فقيل: إنها مشتقة من الصوف؛ وذلك لأن الصوفية خالفوا الناس في لبس فاخر الثياب فلبسوا الصوف تقشفاً وزهداً. وقيل: إنه من الصفاء، وذلك لصفاء قلب المريد، وطهارة باطنه وظاهره عن مخالفه ربه. وقيل: إنه مأخوذ من الصُفَّة التي يُنسب إليها فقراء الصحابة المعروفون بأهل الصُفَّة. ويرى غيرهم أنه لقب غير مشتق. قال القشيري رحمه الله: "ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية، ولا قياس، والظاهر أنه لقب. ومَن قال باشتقاقه من الصفاء أو من الصُفَّة فبعيد من جهة القياس اللُّغوي. قال: وكذلك من الصوف؛ لأنهم لم يُختصوا به"[1].

اصطلاحا: التصوف في الاصطلاح (هو إرسال النفس مع الله على ما يريد) وقيل: (هو مناجاة القلب ومحادثة الروح) وفي هذه المناجاة طُهرة لمن شاء أن يتطهر، وصفاء لمن أراد التبرؤ من الرِجس والدنس، وفي تلك المحادثة عروج إلى سماء النور والملائكة، وصعود إلى عالَم الفيض والإلهام، وما هذا الحديث والنجوى إلا ضرب من التأمل، والنظر والتدبر في ملكوت السموات والأرض. بَيْد أن الجسم والنفس متلازمان وتوأمان لا ينفصلان، ولا سبيل إلى تهذيب أحدهما بدون الآخر. فمَن شاء لنفسه صفاءً ورفعة فلا بد له أن يتبرأ عن شهوات وملذات البدن.. فالتصوف إذن: فكر، وعمل، ودراسة، وسلوك[2].

2/ نشأة التصوف وتطوره:

والتصوف بهذا المعنى موجود منذ الصدر الأول للإسلام، فكثير من الصحابة كانوا معرضين عن الدنيا ومتاعها، آخذين أنفسهم بالزهد والتقشف، مبالغين في العبادة، فكان منهم مَن يقوم الليل ويصوم

---

[1] نقلا عن التفسير والمفسرون: ج2/ص250.

[2] ينظر: المصدر نفسه: ج2/ص250.

النهار، ومنهم مَن يشد الحجر على بطنه تربية لنفسه وتهذيباً لروحه، غير أنهم لم يُعرفوا في زمنهم باسم الصوفية، وإنما اشتهر بهذا اللقب فيما بعد مَن عُرفوا بالزهد والتفاني في طاعة الله تعالى، وكان هذا الاشتهار في القرن الثاني الهجري، وأول من سُمِّي بالصوفي: أبو هاشم الصوفي المتوفى (سنة 150 هـ) وبعد ذلك ظهرت تعاليم القوم ونظرياتهم التي تواضعوا عليها، وأخذت هذه الأبحاث تنمو وتتزايد كلما تقادم العهد عليها. وبمقدار ما اقتبسه القوم من المحيط العلمي الذى يعيشون فيه تطورت هذه الأبحاث والنظريات، ولقد استفاد المتصوفة من الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء ما كان له الأثر الأكبر في هذا التطور الصوفي؛ غير أنهم أخذوا من الفلسفة بحظ وافر، بل وكوَّنوا فلسفة خاصة بهم، حتى أصبحنا نرى بينهم رجالاً أشبه بالفلاسفة منهم بالمتصوفة، وأصبحنا نرى بعضهم يدين بمسائل فلسفية لا تتفق ومبادئ الشريعة، مما أثار عليهم جمهور أهل السُّنَّة، وجعلهم يحاربون التصوف الفلسفي، ويؤيدون التصوف الذى يدور حول الزهد، والتقشف، وتربية النفس، وإصلاحها.. وما زال أهل السُّنَّة يحاربون التصوف الفلسفي حتى كادوا يقضون عليه في نهاية القرن السابع الهجري، ومن ذلك الوقت دخل في التصوف رجال من غير أهله، تظاهروا بالورع والطاعة، وتحلَّوا بالزهد الكاذب والتقشف المصطنع، فأصبحنا نرى بعض الجهلاء الأُميين يشرفون على الطريق، ويتولون تربية الأتباع والمريدين، ووقفت التعاليم الصوفية عند دائرة محدودة لا تتعدّى دائرة الأوراد والأذكار[1].

3/ أنواع التفسير الصوفي:

مما تقدم يتضح لنا أن التصوف ينقسم إلى قسمين أساسيين[2]: تصوف نظري: وهو التصوف الذي يقوم على البحث والدراسة. وتصوف عملي: وهو التصوف الذي يقوم على التقشف والزهد والتفاني في طاعة الله. وكل من القسمين كان له أثره في تفسير القرآن الكريم، مما جعل التفسير الصوفي ينقسم أيضاً إلى قسمين: تفسير صوفي نظري، وتفسير صوفي فيضي (إشاري)

---

[1] المصدر السابق: ج2/ص251.

[2] هذا التقسيم مستفاد من الدكتور حسين الذهبي: ينظر: المصدر نفسه: ج2/ص251.

- **التفسير الصوفي النظري**: هو إخضاع نصوص الآيات القرآنية إلى تأملات الصوفي وفلسفته، ويقوم التفسير الصوفي النظري بالأساس على تحكم الفلسفة والتأمل في معاني القرآني، ويعتبر محي الدين بن عربي شيخ هذه الطريقة في التفسير، ويقوم هذا اللون من التفسير على قواعد أهمها[1]:

- تأثره بالنظريات الفلسفية: فمثلاً يُفسِّر بعض الآيات بما يتفق والنظريات الفلسفية الكونية، فعند قوله تعالى في الآية [57] من سورة مريم في شأن إدريس عليه السلام: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً} نجده يقول: ((وأعلى الأمكنة المكان الذي تدور عليه رحى عالَم الأفلاك، وهو فلك الشمس، وفيه مقام روحانية إدريس، وتحته سبعة أفلاك، وفوقه سبعة أفلاك، وهو الخامس عشر)) ثم ذكر الأفلاك التي تحته، والتي فوقه، ثم قال: ((وأما علو المكانة فهو لنا – أعنى المحمدين – كما قال تعالى: {وَأَنتُمُ الأعلون والله مَعَكُمْ} في هذا العلو، وهو يتعالى عن المكان لا عن المكانة))

- قيام هذا اللون التفسيري على القول بوحدة الوجود: ومثاله تفسير ابن عربي لقوله تعالى في أول سورة النساء: {يا أيها الناس اتقوا رَبَّكُمُ الذي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ} نجده يقول: {اتقوا رَبَّكُمُ} اجعلوا ما ظهر منكم وقاية لربكم، واجعلوا ما بطن منكم – وهو ربكم – وقاية لكم، فإن الأمر ذم وحمد، فكونوا وقايته في الذم، واجعلوه وقايتكم في الحمد تكونوا أدباء عالمين.

- إخضاع قواعد النحو واللغة لنظرات الصوفية الفلسفية: فنجد ابن عربي مثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية [30] من سورة الحج: {وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ الله فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ} .. يقول: ((وقوله: {عِندَ رَبِّهِ} العامل في هذا الظرف في طريقنا قوله: {وَمَن يُعَظِّمْ} أي مَن يعظمها عند ربه، أي في ذلك الموطن، فلتبحث في المواطن التي تكون فيها عند ربك ما هي؟.. كالصلاة مثلاً، فإن المصَلِّي يناجى ربه، فإذا عظَّم حُرمة الله في هذا الموطن كان خيراً له.. والمؤمن إذا نام على طهارة فروحه عند ربه، فيُعَظِّم هناك حُرمة الله، فيكون الخير الذى له في مثل هذا الموطن المبشرة التي تحصل له في نومه أو يراها له غيره. والمواطن التي يكون العبد فيها عند ربه كثيرة فيُعَظِّم فيها حُرمات الله على الشهود)).

- **التفسير الصوفي الفيضي (الإشاري)**

[1] لمزيد تفصيل لهذه الخصائص، ينظر: المصدر السابق: ج2/ص252-255.

التفسير الفيضي أو الإشاري: هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التوفيق بينها وبين الظاهر المرادة. نحو تفسير سهل التستري لقوله تعالى في الآية [96] من سورة آل عمران: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ} بقوله: ((أول بيت وُضِعَ للناس بيت الله عَزَّ وجَلَّ بمكةَ، هذا هو الظاهر، وباطنها: الرسول يؤمن به مَن أثبت الله في قلبه التوحيد من الناس)) وتفسيره لقوله تعالى في الآية [41] من سورة الروم: {ظَهَرَ الفساد فِي البر والبحر}بقوله: ((مَثَّلَ الله الجوارح بالبر، ومَثَّل القلب بالبحر، وهم أعم نفعاً وأكثر خطراً، هذا هو باطن الآية، ألا ترى أن القلب إنما سُمِّي قلباً لتقلبه وبُعْد غوره)).

4/ القرآن الكريم يحتوي إشارات فهمها أهل البصائر من الصحابة رضوان الله عليهم.

لم يكن التفسير الإشاري بالأمر الجديد في إبراز معاني القرآن الكريم، بل هو أمر معروف من لدن نزوله على رسول الله ﷺ أشار إليه القرآن، ونبَّه عليه الرسول عليه الصلاة والسلام، وعرفه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وقالوا به. أما إشارة القرآن إليه، ففي قوله تعالى في الآية [78] من سورة النساء: {فَمَالِ هاؤلاء القوم لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً} ، وقوله في الآية [82] منها أيضاً: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القرآن وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ الله لَوَجَدُواْ فِيهِ اختلافا كَثِيراً} ، وقوله في الآية [24] من سورة محمد عليه السلام: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القرآن أَمْ على قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ} فهذه الآيات كلها تشير إلى أن القرآن له ظهر وبطن. وذلك لأنّ الله سبحانه وتعالى حيث ينعى على الكفار أنهم لا يكادون يفقهون حديثاً، ويحضهم على التدبر في آيات القرآن الكريم لا يريد بذلك أنهم لا يفهمون نفس الكلام، أو حضهم على فهم ظاهره؛ لأن القوم عرب، والقرآن لم يخرج عن لغتهم فهم يفهمون ظاهره ولا شكّ. وإنما أراد بذلك أنهم لا يفهمون عن الله مراده من الخطاب، وحضَّهم على أن يتدبروا في آياته حتى يقفوا على مقصود الله ومراده، وذلك هو الباطن الذى جهلوه ولم يصلوا إليه بعقولهم[1].

وأما الروايات الدالة على أنهم فسَّروا القرآن تفسيراً إشارياً، فما رواه البخاري عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال: ((كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وَجَدَ في نفسه فقال: لِمَ تُدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه مَن حيث علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما

[1] ينظر: التفسير والمفسرون: ج2/ص261.

رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم. قال: ما تقولون في قوله تعالى: {إِذَا جَآءَ نَصْرُ الله والفتح} [النصر: 1] فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال: {إِذَا جَآءَ نَصْرُ الله والفتح} وذلك علامة أجلك، {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ واستغفره إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً} [النصر: 3] فقال عمر: ما أعلم منها إلا مَا تقول))[1]

فبعض الصحابة لهم يفهم من السورة أكثر من معناها الظاهر، أما ابن عباس وعمر، فقد فهما معنى آخر وراء الظاهر، هو المعنى الباطن الذى تدل عليه السورة بطريق الإشارة.

وأيضاً ما ورد من أنه لما نزل قوله تعالى في الآية [3] من سورة المائدة: {اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً} فرح الصحابة وبكى عمر رضي الله تعالى عنه وقال: ما بعد الكمال إلا النقص، مستشعراً نعيه عليه الصلاة والسلام، فقد أخرج ابن أبى شيبة: "أن عمر رضي الله تعالى عنه لما نزلت الآية بكى، فقال النبي ﷺ: ما يبكيك؟ قال: أبكاني أنَّا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شيء قط إلا نقص، فقال عليه الصلاة والسلام: "صدقت"[2]. فعمر رضي الله عنه أدرك المعنى الإشاري: وهو نعي رسول الله ﷺ، وأقرَّه النبي على فهمه هذا.. وأما باقي الصحابة، فقد فرحوا بنزول الآية؛ لأنهم لم يفهموا أكثر من المعنى الظاهر لها.

هذه الأدلة مجتمعة تعطينا أن القرآن الكريم له ظهر وبطن.. ظهر يفهمه كل مَن يعرف اللِّسان العربي، وبطن يفهمه أصحاب الموهبة وأرباب البصائر. غير أن المعاني الباطنية للقرآن لا تقف عند الحد الذى تصل إليه مداركنا القاصرة، بل هي أمر فوق ما نظن وأعظم مما نتصور. ولقد فهم ابن مسعود أن في فهم معاني القرآن مجالاً رحباً ومتسعاً بالغاً فقال: ((مَن أراد علم الأوَّلين والآخرين فليُثَوِّر القرآن))[3] وإلى هذا أشار الله تعالى بقوله: {مَّا فَرَّطْنَا فِي الكتاب مِن شَيْءٍ} [الأنعام: 38] ، وقال: {مَا كَانَ حَدِيثاً يفترى ولاكن تَصْدِيقَ الذي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ} [يوسف: 111].

---

[1] رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: فسبح بحمد ربك، رقم: (4970) ج9/ص179.

[2] المصنف: أبو بكر بن شيبة، تح: كمال يوسف الحوت، ط:1، مكتبة الرشد، الرياض، 1409هـ، رقم: (34408) ج7/ص88.

[3] رواه الطبراني: أبو القاسم الطبراني، تح: حمدي السلفي، ط:2، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، رقم: (8664) ج9/ص135.

4/ شروط قبول التفسير الإشاري:

يشترط في قبول التفسير الإشاري شروط لا بدّ منها[1]:

أولاً: أن لا يكون التفسير الإشاري منافياً للظاهر من النظم القرآني الكريم.

ثانياً: أن يكون له شاهد شرعي يؤيده.

ثالثاً: أن لا يكون له معارض شرعي أو عقلي.

رابعاً: أن لا يُدَّعى أن التفسير الإشاري هو المراد وحده دون الظاهر، بل لا بد أن نعترف بالمعنى الظاهر أولاً؛ إذ لا يُطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر.

5/ بعض المتصوفة المشهورين بالتفسير[2]:

أشهر المتقدمين المعروفين بالتفسير الصوفي سهل بن عبد الله التستري (ت283هـ) وله (تفسير القرآن العظيم) والظاهر أ، هذا الكتاب مجموع بعد وفاة سهل، فهو ليس تفسيرا كاملا وإنما آراء في معاني بعض الآيات.

أبو عبد الرحمن السلمي (ت412هـ) له (حقائق التفسير) وهو تفسير صوفي في مجلد واحد جار على بيان المعنى الإشاري دون بيان للظاهر من النظم القرآني.

أبو محمد الشيرازي (ت666هـ) له تفسير (عرائس البيان في حقائق القرآن) جرى مؤلف هذا التفسير على نمط واحد وهو التفسير الإشاري، ولم يتعرض للتفسير الظاهر بحال.

نجم الدين داية (ت654هـ) كتب (التأويلات النجمية) ووصل فيها إلى أواخر سورة الذاريات ومات قبل إكمالها رحمه الله، وأكمل هذه التأويلات علاء الدولة السمناني (ت736هـ) وعلاء الدولة أكثر إغراقا من نجم الدين في التأويلات الفلسفية وإبعاد المعاني الظاهرية.

محي الدين أبو بكر بن عربي (من غير تعريف) الأندلسي مولدا ونشأة الدمشقي وفاة (ت638هـ) ينسب إليه التفسير المشهور، وجزم الشيخ محمد عبده وتبعه الشيخ محمد رشيد رضا بعدم صحة هذه النسبة، فقالا هو لعبد الرزاق القاشاني أحد أعلام الباطنية في الدولة الفاطمية بمصر.

---

[1] ينظر: مناهل العرفان: مصدر سابق، ج2/ص81 بتصرف يسير.

[2] ذكر بعض هؤلاء الأعلام محمد حسين الذهبي: ج2/ص281-295.

ويعتبر الإمام نظام الدين الحسن بن محمد القمّي النيسابوري (ت850هـ) صاحب (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) من المفسرين المعتنين بالتفسير الإشاري، كما يمكن عدّ عبد الرحمن الثعالبي الجزائري (ت874هـ) من رواد التفسير الإشاري والفيضي كذلك، ويعتبر الإمام الآلوسي صاحب روح المعاني (ت1270هـ) من الرواد المتأخرين للتفسير الفيضي الإشاري.

المحاضرة: رقم 11

نماذج من تفسيرات الصوفية

1/ نماذج من تفسيرات التستري:

نقرأ في هذا الكتاب، فنجد مؤلفه يقدم له بمقدمة يوضح فيها معنى ظاهر القرآن وباطنه، ومعنى الحد والمطلع، فيقول: ((ما من آية في القرآن إلا ولها أربعة معان: ظاهر، وباطن، وحد، ومطلع. فالظاهر: التلاوة، والباطن: الفهم، والحد: حلالها وحرامها. والمطلع: إشراف القلب على المراد بها فقهاً من الله عَزَّ وجَلَّ. فالعلم الظاهر علم عام، والفهم لباطنه والمراد به خاص قال تعالى في الآية [78] من سورة النساء: {فَمَالِ هاؤلاء القوم لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً} : أي لا يفقهون خطاباً))[1] ويقول في موضع آخر: قال سهل: ((إن الله تعالى ما استولى وليًّا من أُمة محمد ﷺ إلا علَّمه القرآن، إما ظاهراً وإما باطناً. قيل له: إن الظاهر نعرفه فالباطن ما هو؟ قال: فهمه، وإن فهمه هو المراد))[2]

فمن هاتين العبارتين، نأخذ أن سهلاً التستري يرى: أن الظاهر هو المعنى اللُّغوي المجرَّد، وأن الباطن هو المعنى الذى يُفهم من اللَّفظ ويريده الله تعالى من كلامه.. كما نأخذ منه: أنه يرى أن المعاني الظاهرة أمر عام يقف عليها كل مَن يعرف اللِّسان العربي، أما المعاني الباطنة، فأمر خاص يعرفه أهل الله بتعليم الله إياهم وإرشادهم إليه[3].

ففي سورة الأعراف عند تفسيره لقوله تعالى في الآية [148] : {واتخذ قَوْمُ موسى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ} يقول ما نصه: ((عجل كل إنسان مَا أقبل عَلَيه فأعرض به عن الله من أهل وولد، ولا يتخلص من ذلك إلا بعد إفناء جميع حظوظه من أسبابه، كما لم يتخلص عَبَدة العجل من عبادته إلا بعد قتل النفوس))[4]

---

[1] تفسير التستري: سهل بن عبد الله التستري، تح: محمد باسل عيون السود، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423هـ، ص16.

[2] المصدر نفسه: ص19.

[3] التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، ج2/ص282.

[4] تفسير التستري: ص67.

وفى سورة الشعراء عند تفسيره لقوله تعالى في الآية [78-82] حكاية عن إبراهيم عليه السلام: {الذي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ والذي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ والذي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ والذي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدين} .. يقول ما نصه: {الذي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ} أي الذى خلقني لعبوديته يهديني إلى قُرْبه، {والذي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ} قال: يطعمني لذة الإيمان ويسقيني شراب التوكل والكفاية، {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} قال: يعني إذا تحركت بغيره لغيره عصمني، وإذا ملت إلى شهوة من الدنيا منَعها عليّ، {والذي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ} قال: الذى يميتني ثم يحييني بالذكر، {والذي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدين} قال: أخرج كلامه على شروط الأَدب بين الخوف والرجاء، ولم يحكم عليه بالمغفرة))[1]

2/ نماذج من تفسيرات السلمي:

وأهم مَن ينقلُ عنه السلمي في حقائقه: جعفر بن محمد الصادق، وابن عطاء الله السكندري، والجنيد، والفضيل بن عياض، وسهل بن عبد الله التستري، وغيرهم كثير. وإليك بعض ما قاله في مقدمته لتعلم أن السلمي حين اقتصر على المعاني الإشارية لم يجحد المعاني الظاهرة للقرآن، ولتعلم أيضاً أن مجهوده في هذا التفسير إنما هو الجمع والترتيب.

قال رحمه الله: ((لما رأيت المتوسمين بالعلوم الظواهر سبقوا في أنواع فرائد القرآن: من قراءات، وتفاسير، ومشكلات، وأحكام، وإعراب، ولغة، ومجمل، ومفسر، وناسخ، ومنسوخ، ولم يشتغل أحد منهم بجمع فهم خطابه على لسان الحقيقة إلا آيات متفرقة، نُسبت إلى أبى العباس ابن عطاء، وآيات ذُكِر أنها عن جعفر بن محمد، على غير ترتيب، وكنت قد سمعت منهم في ذلك حروفاً استحسنتها، أحببت أن أضم ذلك إلى مقالتهم، وأضم أقوال مشايخ أهل الحقيقة إلى ذلك، وأرتبه على السور حسب وسعي وطاقتي، واستخرتُ الله في جمع شيء من ذلك، واستعنتُ به في ذلك وفى جميع أُمورى، وهو حسبي ونعم المعين))[2]

---

[1] المصدر نفسه: ص115.

[2] نقلا عن: التفسير والمفسرون: الذهبي، ج2/ص285.

- **طعن بعض العلماء على هذا التفسير[1]:**

من هؤلاء السيوطي رحمه الله يذكر أبا عبد الرحمن السلمي في كتابه "طبقات المفسرين" ضمن من صَنَّف في التفسير من المبتدعة ويقول: ((وإنما أوردته في هذا القسم؛ لأن تفسيره غير محمود)) والحافظ الذهبي رحمه الله يقول عن السلمى: ((وله كتاب يقال له حقائق التفسير، وليته لم يُصَنِّفه. فإنه تحريف وقرمطة، ودونك الكتاب فسترى العجب)) ويقول السبكي في "طبقات الشافعية": ((وكتاب حقائق التفسير، كثر الكلام فيه من قِبَل أنه اقتصر فيه على ذكر تأويلات، ومحال للصوفية ينبو عنها اللَّفظ)) والواحدي المفسّر قال: ((صَنَّف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير، فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر)) وهذا هو الإمام ابن تيمية يطعن على تفسير السلمي من ناحية أخرى فيقول: ((وما يُنقل في حقائق السلمى عن جعفر الصادق عامته كذب على جعفر كما قد كُذب عليه في غير ذلك)).

- **أمثلة من تفسير السلمي:**

ففي سورة النساء عند قول الله تعالى في الآية [66] : {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقتلوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخرجوا مِن دِيَارِكُمْ مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ} .. يقول: ((قال محمد بن الفضل: {اقتلوا أَنْفُسَكُمْ} بمخالفة هواها، {أَوِ اخرجوا مِن دِيَارِكُمْ} أي أخرجوا حب الدنيا من قلوبكم {مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ} في العدد، كثير في المعاني، وهم أهل التوفيق والولايات الصادقَة))[2]

وفى سورة الحج عند قوله تعالى في الآية [63] : {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أَنزَلَ مِنَ السمآء مَآءً فَتُصْبِحُ الأرض مُخْضَرَّةً} .. يقول: ((قال بعضهم: أنزل مياه الرحمةَ من سحائب القُربة، وفتح إلى قلوب عباده عيوناً من ماء الرحمة، فأنبتت فاخضرت بزينة المعرفة، وأثمرت الإيمان، وأينعت التوحيد. أضاءت بالمحبة فهامت إلى سيدها، واشتاقت إلى ربها فطارت بهمتها، وأناخت بين يديه، وعكفت فأقبلت عليه، وانقطعت عن الأكوان أجمع، ذاك آواها الحق إليه، وفتح لها خزائن أنواره، وأطلق لها الخيرة في بساتين الأُنس، ورياض الشوق والقدس))[3]

---

[1] هذه الطعون مجموعة من جهد الدكتور حسين الذهبي، ج2/ص286.

[2] المصدر نفسه: ج2/ص286.

[3] المصدر السابق: ج2/ص287.

3/ نماذج من تفسيرات ابن عربي من (الفصوص) و (الفتوحات):

منهجه العام في التفسير: يقوم مذهب ابن عربي في التفسير غالباً على نظرية وحدة الوجود التي يدين بها، وعلى الفيوضات والوجدانيات التي تنهل عليه من سحائب الغيب الإلهي، وتنقذف في قلبه من ناحية الإشراق الرباني[1].

أمثلة على تفسيره الصوفي النظري:

في سورة نوح عند قوله تعالى في الآية [25] : {مِّمَّا خطيئاتهم أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَاراً فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُمْ مِّن دُونِ الله أَنصَاراً} يقول: ((مِّمَّا خطيئاتهم أُغْرِقُواْ} فهي التي خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله وهو الحيرة، {فَأُدْخِلُواْ نَاراً} في عين الماء، {فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُمْ مِّن دُونِ الله أَنصَاراً} فكان الله عين أنصارهم فهلكوا فيه إلى الأبد))[2]

وفى سورة النساء عند قوله تعالى في الآية [8] : {مَّنْ يُطِعِ الرسول فَقَدْ أَطَاعَ الله} يقول: ((لأنه لا ينطق إلا عن الله، بل لا ينطق إلا بالله، بل لا ينطق إلا الله منه فإنه صورتُه))[3]

أمثلة على تفسيره الإشاري:

وفى سورة الحج عند قوله تعالى في الآيتين [32، 33] : {وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ الله فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى القلوب لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إلى البيت العتيق} نجده يُفسِّر: {شَعَائِرَ الله} فيقول: (({شَعَائِرَ الله} أعلامه، وأعلامه الدلالة الموصلة إليه)) ويُفسِّر قوله: {ثُمَّ مَحِلُّهَآ إلى البيت العتيق} .. فيقول: (({ثُمَّ مَحِلُّهَآ إلى البيت العتيق} وهو بيت الإيمان عند أهل الإشارات، وليس إلا قلب المؤمن الذى وسع عظمة الله وجلاله))[4]

وفى سورة لقمان عند قوله تعالى في الآية [16] : {يا بني إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ} نجده يُفسِّر قوله تعالى: {فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ} فيقول: ((أي عند ذي قلب قاس لا شفقة

---

[1] المصدر السابق: ج2/ص303.

[2] المصدر نفسه: ج2/ص304

[3] المصدر نفسه: ج2/ص305

[4] المصدر نفسه: ج2/ص306

له على خلق الله. قال تعالى: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّن بَعْدِ ذلك فَهِيَ كالحجارة أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} [البقرة: 74]))[1]

4/ نماذج من تفسيرات النيسابوري:

قال الشيخ عبد العظيم الزرقاني يبيّن منهج النيسابوري في التفسير: " بعد أن يوفي الكلام على ظاهر معنى الآية أو الآيات يقول قال أهل الإشارة أو يقول التأويل، ثم يسوق المعنى الإشاري لتلك الآية أو الآيات تحت هذا العنوان "[2] مثال ذلك أنه قال بعد التفسير الظاهر لقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً} الآيات قال ما نصه: ((التأويل: ذبح البقرة إشارة إلى ذبح النفس البهيمية فإن في ذبحها حياة القلب الروحاني وهو الجهاد الأكبر موتوا قبل أن تموتوا.

اقتلوني يا ثقاتي*** إن في قتلي حياتي

وحياتي في مماتي*** ومماتي في حياتي

مت بالإرادة تحي بالطبيعة وقال بعضهم مت بالطبيعة تحي بالحقيقة ما هي؟ قال: إنها بقرة نفس تصلح للذبح بسيف الصدق {لا فَارِضٌ} في سن الشيخوخة فيعجز عن وظائف سلوك الطريق لضعف القوى البدنية كما قيل: الصوفي بعد الأربعين بارد {وَلا بِكْرٌ} في سن شرخ الشباب يستهويه سكره عوان بين ذلك لقوله تعالى: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً} {بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ} إشارة إلى صفرة وجوه أصحاب الرياضات {فَاقِعٌ لَوْنُهَا} يريد أنها صفرة زين لا صفرة شين فإنها سيما الصالحين {لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ} لا تحتمل ذلة الطمع ولا تثير بآلة الحرص على أرض الدنيا لطلب زخارفها ومشتهياتها {وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ} ولا يسقى حرث الدنيا بماء وجهه عند الخلق وبماء وجاهته عند الخالق فيذهب ماؤه عند الحق وعند الخلق {مُسَلَّمَةٌ} من آفات صفاتها ليس فيها علامة طلب غير الله {وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ} بمقتضى الطبيعة لولا فضل الله وحسن توفيقه:

---

[1] المصدر السابق: ج2/ص306.

[2] مناهل العرفان: مصدر سابق: ج2/ص82.

{وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً} يعني القلب {فَادَّارَأْتُمْ} فاختلفتم أنه كان من الشيطان أم من الدنيا أم من النفس الأمارة {فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا} ضرب لسان البقرة المذبوحة بسكين الصدق على قتيل القلب بمداومة الذكر فحيي بإذن الله وقال {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ} .

{وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ} مراتب القلب في القسوة مختلفة فالتي يتفجر منها الأنهار قلوب يظهر عليها الغليان أنوار الروح بترك اللذات والشهوات بعض الأشياء المشبهة بخرق العادات كما يكون لبعض الرهبان والهنود، والتي تشقق فيخرج منها الماء هي التي يظهر عليها في بعض الأوقات عند انخراق الحجب البشرية من أنوار الروح فيريه بعض الآيات والمعاني المعقولة كما يكون لبعض الحكماء، والتي تهبط من خشية الله ما يكون لبعض أهل الأديان والملل من قبول عكس أنوار الروح من وراء الحجب فيقع فيها الخوف والخشية.

وهذه المراتب مشتركة بين المسلمين وغيرهم والفرق أنها في المسلمين مؤيدة بنور الإيمان فيزيدون في قربهم وقلوبهم ودرجاتهم، ولغيرهم ليست مؤيدة بالإيمان فيزيدوا في غرورهم وعجبهم وبعدهم واستدراجهم. والمسلمون مختصون بكرامات وفراسات تظهر لهم من تجلي أنوار الحق ورؤية برهانه. فإراءة الآيات للخواص {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ} . {وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} لكن إراءة البرهان لأخص الخواص كما جاء في حق يوسف {لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ} سئل الحسن بن منصور عن البرهان فقال واردات ترد على القلوب فتعجز القلوب عن تكذيبها والله أعلم)) [1].

5/ نماذج من تفسيرات الآلوسي في روح المعاني:

قال الإمام الزرقاني يشرح منهج الآلوسي العام في التفسير: " هذا التفسير من أجل التفاسير وأوسعها وأجمعها نظم فيه روايات السلف بجانب آراء الخلف المقبولة وألف فيه بين ما يفهم بطريق العبارة وما يفهم بطريق الإشارة رحمه الله وتجاوز عنه "[2]. ومما قاله في التفسير الإشاري بعد أن فسر قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} إلى آخر الآيات بعدها قال ما نصه: ((ومن مقام الإشارة في الآيات وإذا قلتم يا موسى القلب لن نؤمن

---

[1] غرائب القرآن ورغائب الفرقان: الحسن بن محمد القمي النيسابوري، تح: زكرياء عميرات، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ، ج1/ص3014-315.

[2] مناهل العرفان: مصدر سابق: ج2/ص84.

الإيمان الحقيقي حتى نصل إلى مقام المشاهدة والعيان، فأخذتكم صاعقة الموت الذي هو الفناء في التجلي الذاتي وأنتم تراقبون أو تشاهدون، ثم بعثناكم بالحياة الحقيقة والبقاء بعد الفناء لكي تشكروا نعمة التوحيد والوصول بالسلوك في الله عز وجل، وظللنا عليكم غمام تجلي الصفات لكونها حجبت شمس الذات))[1]

وقال بعد تفسير قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}: ((وإذ أخذنا ميثاقكم المأخوذ بدلائل العقل بتوحيد الأفعال والصفات ورفعنا فوقكم طور الدماغ للتمكن من فهم المعاني وقبولها أو أشار سبحانه بالطور إلى موسى القلب وبرفعه إلى علوه واستيلائه في جو الإرشاد والشرائع لكي تتقوا الشرك والجهل والفسق ثم أعرضتم بإقبالكم إلى الجهة السفلية بعد ذلك، فلولا حكمة الله بإمهاله وحكمه بإفضاله لعاجلتكم العقوبة ولحل بكم عظيم المصيبة.

إلى الله يُدعى بالبراهين من أبى ... فإن لم يجب بادته بيض الصوارم))[2]

---

[1] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود الآلوسي، تح: علي عبد الباري عطية، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، ج1/ص269.

[2] المصدر نفسه: ج1/ص282.

قائمة أهم المصادر والمراجع

- الفرق بين الفرق: عبد القاهر الأسفراييني، ط:2، دار الآفاق، بيروت، 1977م
- الملل والنحل: محمد عبد الكريم الشهرستاني، دط، مؤسسة الحلبي، دت
- مقدمة في أصول التفسير: أحمد بن عبد الحليم شيخ الإسلام ابن تيمية، ط:1، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1980م
- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط: 3، دار القلم، دمشق، 1439هـ-2008م
- رسالة تنبيه المحتار على عدم صحة القول بفناء النار عن الصحابة الأخيار: سليمان بن ناصر العلوان، دط، دن، دت
- فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها: غالب بن علي عواجي، ط:4، المكتبة العصرية، جدة، 1422هـ – 2001م
- الفصل في الملل والأهواء والنحل: علي بن أحمد المعروف بابن حزم الأندلسي، دط، مكتبة الخانجي، القاهرة، دت
- تقريب التهذيب: ابن حجر العسقلاني، رقم(856) ط:1، دار ابن رحب، القاهرة، 1425هـ – 2004م
- التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل البخاري،، دط، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، دت
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن عبد الرحمن الحافظ المزي، تح: بشار عواد معروف، ط:1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1400هـ-1980م
- مسند الربيع بن حبيب الإباضي – دراسة نقدية – سعد بن عبد الله الحميد: مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، العدد(47) رجب 1430هـ
- الكامل في اللغة والأدب: محمد بن يزيد المبرد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:3، دار الفكر العربي، القاهرة، 0417هـ – 1997م
- الأعلام: لخير الدين الزركلي، ط:15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م

- التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، دط، مكتبة وهبة، القاهرة، دت
- تيسير التفسير: محمد بن يوسف اطفيش، تح: إبراهيم بن محمد طلاي، ط:1، وزارة التراث والثقافة، مسقط، 1425هـ-2004م
- الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، ط:2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ-1964م
- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: محي الدين الخطيب، دط، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ
- منهج الشيخ اطفيش في تفسيره تيسير التفسير: محمد خواجا، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الأردن، 1994م
- جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية: محمد أحمد لوح، ط:1، دار ابن القيم، الدمام، 1424هـ – 2003م
- تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن كثير الدمشقي، تح: سامي بن محمد سلامة ط:2، دار طيبة للنشر والتوزيع، دمشق، 1420هـ – 1999م
- شرح العقيدة الواسطية: محمد بن صالح العثيمين، إعداد: فهد بن ناصر السليمان، ط:1، دار الثريا، الرياض، 1419هـ-1998م
- مجموع الفتاوى: أحمد بن عبد الحليم الحراني، تح: عبد الرحمن بن محمد بن القاسم، دط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1416هـ – 1995م
- مناهل العرفان: محمد عبد العظيم الزرقاني، ط:3، مطبعة عيسى الحلبي وشركاؤه، القاهرة، دت
- العصر الذهبي للدولة العباسية: محمد السيد الوكيل، ط:1، دار القلم، دمشق، 1418هـ-1998م
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان: الحسن بن محمد القمي النيسابوري، تح: زكرياء عميرات، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود الآلوسي، تح: علي عبد الباري عطية، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ

فهرس الموضوعات

المحتوى	الصفحة
تقديم	02
المحاضرة رقم 01: مدخل لدراسة التفسير عند الفرق	03
المحور الأول المعتزلة وموقفهم من تفسير القرآن الكريم	07
المحاضرة رقم 02: التعريف بفرقة المعتزلة وعنايتها بالتفسير	08
المحاضرة رقم 03: أمثلة تطبيقية من تفسيرات المعتزلة	11
المحور الثاني فرقة الخوارج وموقفهم من تفسير القرآن الكريم	13
المحاضرة رقم04 : التعريف بفرقة الخوارج وبيان عنايتهم بالتفسير.	14
المحاضرة رقم05: نماذج تطبيقية من تفاسير الإباضية	23
المحور الثالث: فرقة الشيعة وموقفهم من تفسير القرآن	28
المحاضرة: رقم 06: التعريف بفرقة الشيعة وبيان عنايتهم بالتفسير	29
المحاضرة رقم 07: نماذج تطبيقية من تفاسير الشيعة	36
المحور الرابع: التفسير عند الفلاسفة	47
المحاضرة: رقم 08: الفلاسفة وبيان عنايتهم بالتفسير	48
المحاضرة: رقم 09: نماذج من تفسيرات الفلاسفة	52

المحور الخامس: التفسير عند الصوفية	57
المحاضرة: رقم 10: التعريف بالصوفية وبيان عنايتهم بالتفسير	58
المحاضرة: رقم 11: نماذج من تفسيرات الصوفية	65
قائمة المصادر والمراجع	75
فهرس الموضوعات	74